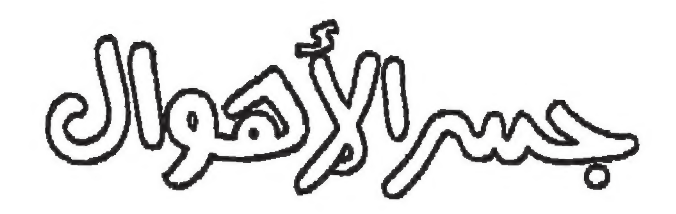
خيال × خيال



تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة


جسر الأهوال

الطبعـة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

كان كل شيء مثيرا بين هاتين المدينتين المتجاورتين . .

وقد بدا هذا كل يوم فى عناوين الصحف الرئيسية ، وفى الأخبار المتناثرة فى برامج الإذاعة والتليفزيون ومحطات الإعلام الموجودة فى كل مدينة من المدينتين .

فمع كل صباح ، يكون أول شيء يطالع أعين أبناء مدينة «التفاحة البنفسجية» هو ما أنجزه النابغون فيها من أسباب التقدم فى كافة الميادين التقنية ، والفنية ، والحياتية .

ولم يكن الأمر يختلف بالمرة فى مدينة « البرقوق الطازج» عما يحدث فى المدينة المجاورة ، فقد توصلوا إلى إبلاغ كل مواطن أولا بأول عن طريق وحدات اتصال خاصة بما تم التوصل إليه من مخترعات حديثة وتطورات علمية وفنية للمواطنين .

وكان كل مواطن يمكنه معرفة الجديد الذى أنجزه العباقرة من أبناء المدينة عن طريق ذلك الكومبيوتر الشخصى الذى يملكه كل مواطن ويحمله معه فى جيبه . .

فما إن يبدأ البث حتى يسمع المرء ، حامل الكومبيوتر ، صوتا مميزا . .

وفى لحظة معينـة ، يمكن للمرء أن يجد كافـة المواطنين فى هذه المدينة ممسكين بالكومبيوتر إيـاه يضعونه على آذانهم وتبدو ابتسامة رضاء على وجوههم وهـم يسمعون الأخبار الجميلة والمثيرة . .

وفى بعـض الأحيـان كـان يجئ خبر يثير الغيـظ لأبنـاء مـدينـة «البرقوق الطازج» . عنـدما يعرفون أن جيرانهم من أبنـاء «التفاحة البنفسجيـة» قـد توصلـوا إلى اختراع شـىء جـديد ، أكثـر فـائدة وإثارة . . ولايهدأ لأحد بال إلا عندما تجئ الأخبار الجديدة بعد فترة قصيرة ، بأن اختراعـا معدلا قـد تم التوصـل إليه أخيرا مـن نفس الاختراع الذى نجح الجيران فى تركيبه . .

وكان الأمر شديد الإثارة ! !

ولم يهدأ بال أى من الطرفين طيلة فترة طويلة من الزمان ، لمتابعة الجديد الـذى تتوصل إليـه كل مدينة . لـدرجة أن الوزارة الـوحيدة التى تـم إنشاؤها هنا ، وهناك كانت هى وزارة « اعرف من فضلك» التى تنحصر مهمتهـا فى إبلاغ الناس بـأمور المخترعـات الحديثة ، والتطورات فى كـافة المجـالات التى تـوصل إليهـا أبناء المدينـة من العباقرة ، وما أكثرهم ، وأحيانا ماتوصل إليه الجيران .

ياله من أمر عجيب حقا . . لكن إلى أى درجة ستصل المنافسة بين الطرفين ؟ وهل يمكن أن تندلع الحرب بين المدينتين كى تستولى

إحداهما على ممتلكات الأخرى .

(٢)

الأمر الغـريب حقـاً أنه لم تكـن هناك أيـة أسلحة مـن أى نوع ضمن الممتلكات التى يحوزها أبناء المدينة ، هنا أو هناك .

ولعـل البعـض مـن الشيوخ الـذيـن تجاوزوا المائة عـام وأكثـر بخمسين تقريبا ، يتـذكرون تلك المعاهـدة الأبدية التى وقـع عليها آخر الرؤساء والتى جاء فى بنودها :

ـ لقد انتهى زمن الحروب . وانتهى زمن الزعامات والرئاسات ، والسياسة . وظهر عصر جديد ليسـت فيه سوى وزارة « اعرف من فضلك» . .

ومنـذ ذلك الحين نسـى الناس كـل مـايتعلق بـالمعاهـدات ، وأصبحت الحروب كلمـة فى المطبوعـات القديمـة التى يحتفـظ بها البعض فى متحفه القـديم ، وخلت القواميـس الحديثة من كلمات كانت يومـا ما تقليدية منها : « السياسـة » ، و«الحروب» و«الزيادة السكانية» و«التضخم » ، وأشياء كثيرة من هذا القبيل من الصعب أن نذكرها كلها حتى لاتنغص علينا قلوبنا وأفكارنا . .

ومع هذا فهناك مواجهة ساخنة لاتنتهى أبدا . .

وكأن حربا حقيقية مشتعلة بين الطرفين لاتنطفئ أوارها . .
حربا غريبة تبدو كل يوم فى شكل الحياة التى يحياها الناس فى كل مدينة . . وخاصة فى ميدان «الكرة الغامضة» .

الكرة الغامضة . . يالها من جملة مثيرة !!

إنها الرياضة الأكثرشعبية فى المدينتين . رياضة لاتحكمها قواعد معروفة ، ومع ذلك فهى محور الحديث الأول فى المدينة . خاصة أن نتائج المباريات الخمس التى عُقدت فى السنوات الأخيرة كانت مثيرة للاهتمام والتساؤل .

فحسب قواعد اللعبة ، فإن أحدا لم يكسب . وكان التعادل هو النتيجة المعروفة سلفاً لكل مباراة ، لدرجة جعلت الناس يكادون يصابون بالجنون لشدة تعصبهم من ناحية ، ولأن أبناء كل مدينة يريدون الانتصار على جيرانهم بأى ثمن ، ولو مرة واحدة فقط فى العمر . ولذا فإن المباراة القادمة التى ستعقد بعد أيام قليلة قد أشعلت تعصب الجماهير هنا وهناك ، لدرجة أنه لم يكن هناك حديث سوى عن المباراة القادمة . . وراح العلماء والمخترعون يقدمون أفكارهم من أجل الاستعداد لهذه المباراة . .

تأهب الجميع بكل مايملك من قوة ، فكانت الصحف والوسائل الإعلامية العديدة تقوم بدورها خير قيام . وكان أبناء كل

صفحة فارغة

مدينة واثقين تماما أنهم سيكونون المنتصرين هذه المرة ، وأن التعادل كالخسارة ، لاطعم له ولا رائحة .

ووسط هذا الجو المتعصب المحموم ، كان هناك شيء مثير يدور فى مدينة ليست بعيدة ، لايعرف أحد عنها شيئا تسمى «المدينة الزرقاء» .

(٣)

هتف زعيم المدينة على الشاشة الناطقة . وقد امتلأت كلماته بالعزيمة والإصرار :

ـ لابد أن نضع حداً لهذا الصراع الذى لاطائل منه .

من يتأمل وجه «الشبح الأزرق» فى تلك اللحظة ، يرى ملامح غريبة تكسو وجهه الذى لايمكن لأحد أن يراه أو يقترب منه . ورغم أن ذلك بداعلى لهجته ، فإن أحدا لم يكن يتصور أنه يمكن أن يفكر جديا هذه المرة فيما يدور بين هاتين المدينتين . خاصة أن المعاهدة التى تم توقيعها منذ أمد طويل قد أنهت الحروب . .

وعلى الشاشة الناطقة جاءت كلماته :

ـ لقد حان الوقت الحاسم لإلغاء المعاهدة . . مفهوم؟ .

كان كلامه مفهوما بالطبع . لكنه صعب التصديق ، فقد بلغ

الوعى لدى أبناء المدينتين درجة مـن الصعب أن تجعل إنسانا يفكر ولو للحظة واحـدة أن المعاهدة أصبحت قديمة ، بـل إن أبناء كل من « التفاحة البنفسجية» و«البرقوق الطازج» ، كانوا بالغى السعادة بتلك المنافسـة الغريبة بينهما ، وكان الجميع يعرف بـذلك سواء فى «المدينة الزرقاء » أو فى « مدينة الحكايات» .

ولذا بـدت فكرة محاولـة إفساد مـابين المدينتين بالغـة الجنون فى «المدينة الزرقاء» . . وبدا الشر الذى اكتسى لهجة « الشبح الأزرق» شديداً وعميقا ، لايمكن لأحد أن يتخيل كيف ستكون نتائجه .

وقف مساعده إلى جـانبه ، ولم يجرؤ أن يسـأله كيـف يفكر . ولكن الإجابة جاءت سريعة :

ـ أنـا لست شريـراً إلى حد كبير . . ولكننـى فى بعض الأحيـان مصاب بـالأنانيـة . أحب أن آخـذ من النـاس بعضاً مـن الأشياء الغالية التى يمتلكونها .

وعلى الشاشة الناطقة ظهرت ضحكتـه المجلجلة ، عالية كأنها تنطلق نحو آفاق بعيدة لم يمكن لمخلوق أن يسمعها من قبل .

(٤)

وسرعان ماجاءت الأخبار المثيرة إلى «مدينة الحكايات» . .

ومـن جديـد اجتمع الـرجال والنسـاء من أعمـدة الحكايـات العربية من أجل التشاور فيما جـاءت به الأخبار . كان هناك أيضا سندباد ، وعنترة ، وسيف بن ذى يزن ، وعلاء الدين ، وعلى بابا ، ومعـروف الإسكـافى وغيرهـم ، مـن أجـل التشـاور فيما يمكـن أن يصيب المدينتين على يدىّ « الشبح الأزرق » .

وقف « حكيم المدينة » أمام رجاله وقال :

ـ لـلأسف الشديـد فإن السريـة محاطة تماما بما ينـوى « الشبح الأزرق » أن يفعله هذه المرة . ولم نستطع أن نتوصل إلى أكثر من أن نيته الآن راحت إلى هناك .

تدخل «علاء الدين» وقال :

ـ المشكلة أننا لانعرف نوع المأسـاة التى ستحدث ، حتى يمكن أن نرسل الرجل المناسب من أبناء « مدينة الحكايات » لكى يتدارك الأمر قبل حدوثه .

تدخلت « أم الغولة » قائلة :

ـ وهل هناك حكاية بدون غموض ؟ فلننتظر . .

رد على بابا :

ـ لا . علينا ألا ننتظر . . بل علينا أن نصل أولا . .

هز « حكيم » رأسه وقال :

ـ هذا هو رأيى . لكن المشكلة هى ماذا نفعل . ونحن لا نعرف ماذا سيأخذ من الأشياء الغالية من إحدى المدينتين .

وراح الحاضرون يتكهنون بمايمكن للشبح الأزرق أن يفعله ، وخلال حوار طويل ومثير تخيل كل منهم مايمكن أن يسلبه «الشبح الأزرق» لنفسه من هنا أو هناك من أجل إفساد مابين المدينتين ، خاصة أن كلا منهما تقترب من لحظة مثيرة باقتراب موعد المباراة التى يجب أن ينتصر فيها أحد الطرفين مهما كان السبب .

(٥)

كان صباح غريب وغير مألوف بالمرة بالنسبة لمدينة «التفاحة البنفسجية» .

فعندما دقت الساعة السادسة صباحا ، لم يستيقظ أبناء المدينة جميعهم على غير عادتهم ، من أجل أن يسمعوا الأخبار الجديدة من ناحية ، ومن أجل أن يقوموا بالاشتراك فى طابور الجرى الذى يخرج إليه الجميع مهما كانت أعمارهم ، وذلك قبل أن يتوجه كل مواطن إلى عمله . أو أن يمارس مهام حياته .

لم يكن أحد فى حاجة إلى أن يكون هناك منبه ليدق لإيقاظ الناس ، فقد تعودوا أن يفعلوا ذلك بدافع دوما ، فهم أنفسهم قد

تحولوا إلى منبه يستيقظ من تلقاء نفسه فى الساعة السادسة .

كان كل شىء منظما فى المدينة ، وبمواعيد إلا فى صباح ذلك اليوم . فقد دقت الساعات ست دقات ولم يستيقظ أحد . . بل إ عقارب الساعة عندما تحركت إلى السادسة وخمس دقائق فإن المد لم تتحول إكالعادة إلى خلية من الحركة والحياة ، يرفع كل منه هاتفه الشخصى كى يرسل تحية الصباح إلى جيرانه ، وأصدقائه وذلك قبل أن ينزل المواطنون إلى طوابير الجرى اليومية .

. يا إلهى !! هاهى الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة و جديد . . لا . . بل هذا شىء جديد بالفعل . . فلم يسبق للمد بأكملها أن تأخرت عن الاستيقاظ حتى مثل هذه اللحظة . .

وتحركت عقارب الساعة بطيئة كأنها لاتود أن تغادر مكانها وتجاوزت السادسة والنصف ، وكأن لاحياة لمن تناديه فى المدينة ثم تحركت العقارب أيضا بنفس الإيقاع حتى وصلت السابعة . .

فعلا ، يا إلهى . . إنه الموعد الذى على جميع المواطنين أن يرك الحافلات الهوائية كى يصلوا فيه إلى أعمالهم . وهاهى الحافلا التى تتحركِ ذاتياً واقفة فى أماكنها تنتظر ركابها . ثم هاهى تغ أبوابها ، حسب برمجتها ، وتنطلق إلى طريقها المعهود . . لك خالية تماما من الركاب . وبعد عشرين ثانية كاملة انفتحت أبوا

الحافلات مرة أخرى ، كى تُفرغ حمولتهـا الفارغة . وكان عليها أن تعـود إلى مخازن الحافـلات فى أطـراف المدينة إلى أن تعـود ثـانيـة فى الساعة الواحدة ظهرا .

الواحدة ظهـرا . إنه موعد عـودة الموظفين ، والعاملين جميعهم إلى بيـوتهم فى تلك المدينـة التـى استطـاعت أن تختصر الكثير مـن الزمن . . لكـن هاهى الساعـة الواحدة والنصف ظهـرا . والمدينة لاتزال شبه خاوية تماما .

لم يكن هنـاك فى شوارع المدينة فى تلـك اللحظة الغريبـة سوى رجل عجـوز يحمل مخلاة بيضاء بـدا وكأنه غـريب تماما عـن هذه المدينة ، وأن دهشة ماقد أصابته لما يجرى فيها .

(٦)

ترى ماذا حدث فى مدينة « التفاحة البنفسجية » ؟

لا أحد يعرف على وجه التحديد ، خـاصة فى مدينة الحكايات التى كـان صفوة أبنـائها يـرقبون مـايحدث هناك بـاهتمام شديـد ، وترقـب ، وحذر . فما حدث لايمكـن أن يكون لـه تفسير بالمرة . فهل هو نوم مفـاجئ أصاب الناس ؟ أم إنهم جميعا تناولـوا شيئا ما أصابهم بـالكسل . أو بـالخمول ؟ لا أحـد يعرف ولايـوجد تفسير

حقيقى حول مايحدث .

كانت المؤشرات تدل أن المدينة ليست أبدا فى حالة نوم ، ولكنه شىء أقرب إلى الكسل . كسل غريب الشكل . لايمكن أبدا تفسيره . فقد استيقظ البعض على فترات متلاحقة من ساعات النهار . ولم يشعر أحدهم بالرغبة فى مغادرة سريره ، بل نظر فى ساعته بشىء من اللامبالاة . ولم يحس أبدا أنه قد تأخر عن الذهاب إلى العمل . أو أن شيئا ما هاما قد فاته .

كل ما انتاب الناس هو أنهم يودون أن يناموا مرة أخرى . وبالفعل ، فقد حاول البعض أن يغمض عينيه ، لكنه أحس أنه أخذ القسط الوافر من النوم . وأنه ليس فى حاجة أن ينام ثانية . . ومع ذلك لم تنتبهم الرغبة فى مغادرة غرفهم ، وبدا الكسل فى عيونهم ، وتبادلوا النظرات فيما بينهم ، كأنهم يتساءلون :

ـ ولماذا نتحرك من هنا ؟

لكن ، كان عليهم أن يتحركوا من أماكنهم ، وأن يغادروا أسرتهم ، فالساعة تجاوزت الواحدة . وعليهم على الأقل أن يسدوا بطونهم التى بدأت تشعر بالجوع . . فراحت النساء تتجه إلى المطابخ ، وتتولى إعداد وجبة الطعام . كان الأمر غريبا ، ولكن أحدا لم يتساءل لماذا يفعل ذلك . ولماذا تأخر فى الاستيقاظ . أو

لماذا لم يذهب إلى العمل ؟

تبادلوا التحيات . ولكن أى تحيات كانت . . بدا الجو مشوشا ، هل هى تحية الصباح ؟ أم تحية مابعد الظهر ؟

فجأة دقت أجهزة «الكومبيوتر الاذاعى» كى تعلن على المدينة الأنباء الجديدة .

من غرائب الأمور ، أنه لولا أن الكثير من الأجهزة معلقة على بعض الجدران فى البيوت ، ما انتابت أحدا الرغبة أن يقوم من مكانه ليفتح الأجهزة . أو أن يسمع الجديد من الأخبار رغم أن سماع الأخبار من الأساسيات التى يهتم بها الناس فى المدينة وبشكل منتظم .

جاء صوت يقول :

ـ أيها المواطنون . إليكم النبأ التالى . .

لم يهتم أحد أن يسمع ، بل راحوا يتناولون طعامهم دون أن تنتاب أحدهم الرغبة فى الكلام . رغم أن الشخص الذى كان يتكلم فى «الكومبيوتر الاذاعى» ، بدا وكأنه شخص مختلف عن المذيعين التقليديين الذين يعرفهم الناس . قال :

ـ إليكم البرنامج المثير . . عزوز المهزوز . . يسعدنى أن أقدم لكم نفسى ، أنا عزوز . . كان اسمى هو عزت فيما قبل . لكن

الزمن جار عليّ . وأصبح اسمـى « عزوز » . . ومكتوب عليّ اليوم أن أبلغكم بخبر مثير . ففريق « مدينـة البرقوق » انهى استعداداته من أجل المباراة القادمة ، وقد يتـوصل رجالنا للتعرف على خطتهم السرية للمباراة الحاسمة . .

لـو أن شخصـا مـاراح يـرقـب مـايحدث فى البيـوت فى تلـك اللحظة ، لأصـابته الدهشـة من اللامبالاة المفـاجئة التى أصـابت الناس تجاه هذا الخبر ، فرغم أن الرجل الذى كان يتكلم فى المذياع حاول أن يكون خفيف الظـل ، وأن يتحدث إلى الناس بشكل غير تقليدى . فـإن موضـوع المباراة لم يشـد انتباه الآذان ، كـأن أحدا لم يتكلـم إليهم بـالمرة . بـل إن البعض تبـادلـوا النظرات فيما بينهـم وكأنهم يتساءلون :

ـ ماذا يقول هذا الأبله ؟

واستمر الـرجل يتكلـم فى «الكومبيـوتر الإذاعـى» إلى الناس . وكان من أهم مميزاتـه أن المستعمين يمكنهـم رؤية شخصية المتكلم . لكـن الكثيرين لم يـودوا أن يحركـوا أصـابعهم ليـدوسـوا على زر الشاشة لرؤية هذا الرجل الذى يتكلم بطريقة غريبة .

أما هـؤلاء الذين داسوا بـلا إرادة على زر الرؤية ، فقد شـاهدوا رجلا غريبا يتكلم إليهم ، كان يبدو عجوزا ، ويرتدى ملابس غير

صفحة فارغة

مألوفة ، ويرسم على وجهه ابتسامة عريضة لايعرف أحد هل هى مصطنعة أم طبيعية ؟

(٧)

كان على العجوز أن ينزل إلى شوارع المدينة الخاوية تماما من أجل أن يعرف ماذا حدث بالضبط . بدت مدينة « التفاحة البنفسجية» كأن أبناءها قد أصيبوا بحالة مفاجئة من الكسل الغير منتظر ، أو كأن حالة من التبلد الغير معهود الذى لايعرف أحد مصدره، انتابتهم . .

أما المدينة ، فبدت كأنها مسكونة بالأشباح . وهى التى كانت قبل ساعات وحتى منتصف ليلة البارحة تعج بالحركة والنشاط . وكأن المباراة الحاسمة سوف تبدأ خلال ثوان . .

تحرك العجوز فى الشوارع لعله يقابل أحداً يسأله عما يجرى ، وعما أصاب الناس . لكن هذا لم يحدث بالمرة . . لولا أنه رأى بعض أبناء المدينة يطلون من الشرفات ، أو يتحركون خلف زجاج نوافذ بعض البيوت ، لتصور فعلا أن أبناء المدينة هجروها جميعا أو انتقلوا إلى رحمة الله تعالى .

فجأة ، رآه . . فتنهد . .

إنه أول شخص يمشى تقريبا فى الشوارع . اقترب منه ، وهتف ، وعلى شفتيه ابتسامة :

ـ صباح الخير . . لكن أين . ؟

لم يكمل سؤاله ، فقد راح الرجل يشوح له بيديه ، كأنه يخبره أن يتركه فى حاله . وقف العجوز أمام الرجل ، ورفع يديه كأنه الحاوى الذى ينوى أن يقوم ببعض الألعاب :

ـ أنا عزوز . . عزوز المهزوز . .

توقف الرجل وكأنه يسأله : وماذا يعنى . ؟

إلا أن العجوز قال :

ـ يبدو أن اليوم عيد النوم القومى . .

ثم ضحك ، وأكمل : لا . . يبدو أنه يوم الكسل السنوى . .

نظر إليه الرجل فى لامبالاة حقيقية ، وحاول أن يمشى بخطاه المتباطئة وكأنه لايعرف لنفسه الطريق . هنا سأل العجوز :

ـ هل تسمح أن تخبرنى . . أين تذهب هذا اليوم . . ؟

نظر إليه الرجل بنفس النظرة كأنه يسأله : وما شأنك ؟ أو كأنه يطلب منه أن يدعه فى حاله . ثم تحرك على غير هدى . وهو لايعرف إلى أين يذهب ولا أين الطريق . أما العجوز فقد وقف محتارا ، وهو يردد :

ـ الموضوع جد خطير .

(٨)

وأُعلنت حالة الطوارىء فى « مدينة الحكايات » . .

والتف صفوة أبطال الحكايات يتشاورون فيما يمكن أن يكون قد حدث بالفعل فى مدينة « التفاحة البنفسجية » . قال حكيم المدينة :

ـ فعلا . الموضوع خطير ، فهناك شىء ثمين تمت سرقته من المدينة .

كانت كل المؤشرات تشير أن هناك شيئا جسيما حدث . فالسكان لايعانون من متاعب جسمانية ، وليسوا بمرضى ، وهم يتحركون ، ويأكلون ولكن فى تثاقل شديد . أو فى إطار من الكسل الذى لا يمكن تفسيره . . فرغم أنهم يسمعون نشرات الأخبار، فإن ردود أفعالهم لما يسمعون لاتذكر بالمرة ، وكأن لاشىء يهمهم .

قال جحا :

ـ إنه مرض اللامبالاة . .

بدت كلماته غريبة فعلا . وساد الصمت فى قاعة الاجتماعات

فى « مدينة الحكايات » . لقد نطق «جحا» بكلمات تحتاج إلى عشرات التفسيرات ، فهل هناك مرض يسمى اللامبالاة . . ؟ وماهى أعراضه . وكيف يكون العلاج منه ؟

تساءل الحكيم :

ـ وماذا تعرف ياجحا عن مرض اللامبالاة . . ؟

رد «جحا» فى ثقة :

ـ الناس لاتهتم بما يحدث حولها . لا بالغد . ولا بالأمس . يؤمنون أن عليهم ألا يتدخلوا فيما لايعنيهم ، وأيضا فيما يعنيهم .

ردت « أم الغولة» :

ـ هذا يعنى أن الناس لاتنظر أبعد من أقدامها . .

لمعت أشياء ما فى عينى « حكيم المدينة » . وقال .

ـ إنه إذن لشىء خطير . . ومن الخطورة الشديدة ، أن يضيع ذلك الشىء . .

ولمعت العيون بدورها تتساءل عن الشىء الذى ضاع فى المدينة .

(٩)

إنهم لايودون أن يفعلوا شيئا ، ولا أن يتحركوا . إنهم يأكلون ،

ويشربـون ، ويتحـركـون فى حـدود ضيقـة فى المنـازل ، لاتنتـاب أحدهم الرغبة فى عمل شىء ، حتى الخروج إلى الحدائق ، أو سماع الأنبـاء ، أو الخروج إلى العمـل . لقـد أخذوا قسطـا مـن النـوم . لكنهم يرغبون أن ينامـوا من جديـد . ولولا أن أجسامهـم متيقظة لفعلوا ذلك حقا . لكن إنها اللامبالاة . .

هل هو مرض حقا كما قال «جحا» فى مدينة الحكايات . . ربما . لكن كيف يجئ هذا المرض . . ؟

كان على العجـوز أن يجرى كافة تحريـاته ليعرف مـاذا حدث ، كان عليـه أن يتشمم طعم الميـاة ، وأن يستنشق الهواء ليعـرف ماذا هناك بالضبط ، ورغم أنه لاحظ أن للمياة طعما مغايراً ، فإنه كثف من محاولات التوصل إلى حقائق الأشياء . .

رأى الناس وحـاول أن يحاورهم . بـل وطرق أبـواب البيوت ، وسعى لمقـابلة أربـاب الأسر وناقشهم . واكتشـف كأنهم يـرقدون تحت مئـات الأطنـان مـن الجليد ، الجليـد النفسـى البـارد الـذى لايمكن للمرء من خلاله أن يفعل شيئا بالمرة . حتى مجرد التفكير، وربما الرغبـة فى الحديث ، حتـى النساء فقدن الـرغبة فى الثـرثرة فى الهاتف .

الرغبة ، الرغبة . .

لقد اختفت الرغبة فى أشياء كثيرة لدى الناس . .

تساءل العجوز : ماذا يعنى اختفاء الرغبة لدى البشر ؟ إن هذا يعنى الكثير، فالرغبة من ضمن الغرائز البشرية الهامة ، بل هى علامة من علامات هذه الغرائز، ودليل على وجودها وحسب قوة الرغبة تكون قوة الغريزتى . .

لكن ، ماهى الغريزة الأكثر رغبة فى الإنسان ، والتى تلازمه طيلة نهاره وليله ، ولايستطيع إشباعها أبدا طيلة حياته ، وذلك خلافا لبقية الغرائز الأخرى . ؟

فالغرائز إما ملموسة كغريزة الأكل والأمومة ، وأما غير ملموسة مثل الطموح . .

ـ يا إلهى . . لاتقل هذا . . الطموح . . إياك أن تقول إنه قد اختفى من المدينة . .

هكذا تساءل العجوز ، وقد بدا الرعب على وجهه وهو لايصدق ، فهل يعقل أن يختفى الطموح من مدينة بالغة التطور مثل هذه المدينة ؟

إنها أسئلة عديدة بلا إجابات . . ! !

(١٠)

لم يكن على العجوز أن يستسلم للدهشة والنوم لما أصاب

المدينـة . وذلـك بعـد أن اختفـى الطمـوح تمامـا . فى فترة بـالغـة الحساسية من تـاريخ المدينة ، فليس هناك سوى بضعـة أيام قليلة على المباراة الحاسمـة بين فريق هذه المدينـة وفريق المدينـة المجاورة وعلى كل طرف أن يؤيد فريقه سواء فى مرانه أو فى أثناء المباراة .

لكـن ، هل يمكـن أن تقام مبـاراة فى مثـل هذه الظـروف . ؟ فالناس أصابها تبلـد غريب ، وحالة غريبة مـن اللامبالاة لاشفاء منها ، وكما ردد «جحا» فإن هذا مـرض ، فإن أحدا لايعرف كيفية علاج هـذا المرض بالمرة . فهـذه هى المرة الأولى التـى تصاب فيهـا مدينة بأكملها بمثل هذا الداء العجيب .

وإذا كان «جحا» قد تكهن بأن اللامبالاة مرض ، فإن العجوز قد تـوصل إلى أن الطموح اختفى مـن المدينة . أخذ يجرى تحريـاته من أجل معرفة كيف يمكـن استعادة هذا الطموح الضائع ، فراح يتكلم إلى الناس وحاول استشارتهم، لكن بلا فائدة .

لم يكن أمـامه سوى أن يسعـى لمقابلة أعضـاء الفريق القـومى الذى سيجـابه به تلـك المعركة ، أقصد المبـاراة الحاسمة مع فـريق مدينة «البرقوق الطازج» . وتوجـه إلى المعسكر المغلق الذى لايمكن لأحد أن يخترقه مهما كانت قوته ، وهناك كانت المفاجأة .

فقد كـان الباب مفتوحـا . ولم يعترض أحد على دخـوله . وفى

صفحة فارغة

داخل المعسكر بدا المنظر غريبا حقا . فاللاعبون إما نيام . أو يتناولون الطعام . أو يتحركون فى أرض الملعب فى تثاقل ، بل إن بعضهم غادر المكان عائدا إلى بيته بعد أن ردد :

ـ لاشىء يهم . .

هتف العجوز : ياإلهى . . إنهم هكذا أما منسحبون ، أو . مغلوبون . .

اقترب من أحد اللاعبين ، وقال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء :

ـ أهلا يابطل . . سوف نغلبهم بالضربة القاضية . .

نظر إليه اللاعب . وقال ببرود :

ـ وماذا يفيد أن نكسب أو نخسر . . ؟

(١١)

لم تكن هناك إجابة شافية لما يحدث . . لكن معلومات سرية بالغة الأهمية تسربت فى اللحظات الأخيرة إلى «مدينة الحكايات» ، تفيد أن الطموح المسروق من مدينة « التفاحة البنفسجية » موضوع الآن فى صندوق مصنوع من الرصاص الثقيل ، وعليه قفل صدئ

قديم لايمكن لأحد أن يفتحه، وأنه سوف يتم نقله خلال ساعات إلى مقبرة الرغبات، التى تقع فى مكان بعيد لايعرفه أحد، ولايمكن لإنسان أن يصل إليه . .

وجاء فى التقرير السرى أيضا أن الشبح الأزرق كان وراء كل هذه الخطط الشريرة التى حدثت أخيرا، ولذا فعلى المدينة أن تتدخل هذه المرة بأى ثمن، وبكل مالديها من رجال . .

لكن، وحسب قوانين « مدينة الحكايات » فإن هناك بطلا من أبطال الحكايات ذهب هذه المرة فى مهمة عسيرة من أجل فهم اللغز، ومحاولة حله . وقد استطاع أن يتوصل بالفعل أن الطموح اختفى .

ولأنه لايحب التدخل فى المغامرات والحكايات الجديدة من ناحية الإدارة العليا، فإنه وربما للمرة الأولى، استثنى « الحكيم » قراره . بأن أرسل من يبلغ للعجوز أن عليه أن يطارد فيلقاً كاملاً يحرس الصندوق الرصاصى الذى يختفى بداخله الطموح، وأنه الآن فى طريقه إلى مكان مجهول لايعرفه أحد .

فى تلك اللحظات، كان العجوز قد عزم على أن يبحث عن الطموح بأى ثمن وألا يفعل ذلك وحده . بل أن يختار مجموعة من أبناء المدينة، يصحبونه فى رحلة مثيرة من أجل البحث عن

الطموح الضائع بأى ثمن ، وأن يعيدوه إلى مكانه ، قبل بداية المباراة بوقت مناسب ، حتى لاتخسر المدينة مثل هذه الفرصة النادرة . .

حاول استثارة أعضاء الفريق من أجل أن يلتفتوا إلى أهمية البحث عن ذلك الشيء الضائع . لكنه فشل ، سعى إلى إقناع البعض منهم لكن بدا كأن آذانهم قد سُدت تماما ، وكأنهم لم يعودوا يفكرون لا فى غدهم ، ولا حتى فى اللحظة التالية ، تحت شعار « وماذا يهم؟ » . .

ورغم هذا لم يفقد العجوز الأمل . . وراح يواصل تحرياته السريعة من أجل أن يجد مخرجا . . إلى أن توصل إلى مفاجأة بدت له كأنها مفتاح مناسب لبداية حل تلك المشكلة . .

سرعان ما وصلت الأنباء المثيرة إلى مدينة « البرقوق الطازج» وراحت الإذاعات ووسائل الإعلام الاليكترونية تبث الخبر المأسوف عليه ، بأن أبواب مدينة « التفاحة البنفسجية» قد أُغلقت وأن شيئا ما أصاب الناس هناك ، ولم يعودوا يرغبون فى إقامة المباراة الحاسمة .

فى البداية جاءت التعليقات تعبر عن فرحة أبناء المدينة . فلاشك أن انسحاب مدينة « التفاحة البنفسجية» يعنى فوزهم

الساحق . لكن سرعان ما أحس الناس أن الانتصار الحقيقى ليس بـانسحاب الطـرف الآخر، ولكـن بالفـوز عليـه، حتى ولـو بأقـل الأهداف . .

ثـم عرف النـاس حقيقـة ماحـدث ، وأن حـالـة من الخمـول المفاجئ أصابت أبناء مـدينة « التفاحة البنفسجية» لايمكن تفسير أسبابها ولايمكن معرفة كيفية مواجهتها أو علاجها .

وسرعان ما انعقد مجلس المدينـة ، وهو مجلس شرفى ، لم يجتمع أبدا منذ مائة وخمسين عاما تقريبا ، أو بالأحرى منذ توقيع معاهدة السلام الأبدية بين المدينتين .

وما إن بـدأ الاجتماع حتى سـاد المدينة بـأكملها الضـوء الأحمر الذى يطالب بأن يسود المدينـة الهدوء التام والترقب ، فلاشك أن هناك حـالة طوارئ لم يشهدهـا أبناء « البرقوق الطازج» مـن قبل . وأحس الناس بالارتياح عندما انطفأ الضوء الأحمر . وراحوا يفتحون أجهزة التلفاز الالكترونية ليسمعوا نشرة الأخبار .

وجاءت الأخبار تفيد بأن البلاد تمر بحالة حرجة للغاية :

ـ أيها السادة المواطنون ، تشهد بلادنـا مؤامرة بالغة الخطورة فى هذه اللحظـات الأخيرة ، وذلك بعـد أن أصاب الإحبـاط مدينـة «التفاحة البنفسجية » . وهرب الطموح إلى حيث لانعرف . وهذا

صفحة مفقودة

رجل غامض جاء من مكان مجهول ؟ .

لكن لماذا جاء حقا . . ؟

كان عليه أن يبحث عن مخرج بأى ثمن .

ولذا حاول أن يوقظ رغبات الناس فى أن يقوموا بعمل أى شىء مفيد، لكن لماذا يبحث الناس عن شىء مفيد، وقد هرب منهم الطموح واختفى بلا رجعة . لذا لم يتحمس أحد لعمل أى شىء بالمرة . خاصة الاشتراك فى المباراة الحاسمة . فقد بدءوا يرون أنه لافائدة من أى شىء خاصة أن كميات الطعام والشراب متوفرة فى المدينة بكميات كبيرة لاتدفع أحدا للتكالب عليها ، وذلك فى شكل كبسولات التغذية الموجودة فى كل مكان .

حاول العجوز أن يفعل شيئا ما هنا أو هناك . . لكنه فقد الأمل . ولأن الأخبار جاءته من « مدينة الحكايات » بأن صندوق الرصاص الذى يختفى فيه الطموح فى طريقه إلى مقبرته النهائية خلف جسر الأهوال . . فقد كان عامل الوقت هاما للغاية . .

ولذا قرر أن يذهب لمقابلة مجلس إدارة مدينة « البرقوق الطازج» من أجل أن يسألهم التعاون معه فى مهمته المقدسة . .

وكان الاجتماع مثيرا وقصيرا . .

وعقب الاجتماع كان عليه أن يلتقى بأربعة من الرفاق الذين

عليهم أن يذهبوا معه فى رحلة الأهوال . فوق جسر لم يجرؤ أحد أن يعبره من قبل . لا فى التاريخ ، ولا فى أى من الحكايات المعروفة ، أو غير المعروفة .

إنه « جسر الأهوال » . .

(١٣)

ترى من يكون هؤلاء الرفاق الأربعة الذين سيرافقون العجوز فى رحلته المهولة . . ؟

استطاع العجوز أن يتوصل أن اثنين ، من أعضاء فريق الكرة التابع لمدينة « التفاحة البنفسجية » ، كانا فى تلك الفترة التى أصيبت فيها المدينة بالنكبة يتدربان خارج المدينة . وأنهما الآن فى طريق العودة دون أن يعرفا ماذا حدث هناك .

ولذا ، كان على العجوز أن يقابل هذين اللاعبين بأى ثمن ، وأن يمنع عودتهما إلى المدينة ، لذا أخرج من مخلاه بساطه الاليكترونى العجيب الذى يمكنه الطيران به فى أى وقت وتحت أى ظروف ، وانطلق به يلحق بالسيارة الأسفنجية التى تنطلق فى الجو بسرعة ألف كيلومتر فى الساعة . .

بدا كأن هناك سباقا محموما بين « السيارة الأسفنجية » وبين

صفحة فارغة

البساط الاليكترونى ، وشاهد اللاعبان شيئا غريبا يحاول أن يسد عليهما الطريق الجوى ، وكأنه يشير إلى أن هناك شيئا مايستدعى وقوفهما بكل سرعة .

أطلق العجوز إشارة حمراء من مكانه فوق البساط الاليكترونى مما أثار قلق الشابين ، فقال أحدهما للآخر وهو لايزال يقود سيارته الاسفنجية بسرعتها المألوفة :

- إنه شخص عجيب الذى يركب بساطا طائرا . يذكرنى بحكايات ألف ليلة وليلة .

قال زميله :

- توقف ، انه يشير لنا بإشارة حمراء .

رد الأول . واسمه ماجد : ومن أدراك أنه ليس كمينا . أنت تعرف أننا يجب أن نصل إلى المدينة بأقصى سرعة كى نعرف ماذا حدث .

هز زميله سمير رأسه ، وهو يدرك تماما مدى القلق الذى أصابهما فى الساعات الأخيرة ، فقد اكتشفا فجأة وهما فى منطقة التدريب النائية أن الكومبيوتر الاذاعى لم يعد يستقبل أى أخبار، وأن الاتصال انقطع تماما .

وسرعان مالعبت الأفكار بهما ، فحاولا الاتصال بكافة الوسائل المتقدمة التى يمتلكانها ، لكن بلا فائدة .

وعندما أحسا بأن هناك شيئا ما خطرا، قررا العودة إلى مدينتهما. بكل سرعة ، ولكن فى الجو التقيا بهذا البساط العجيب الطائر الذى يرسل إشارات الانذار. . ومن هنا زاد إحساسهما بأن هناك خطرا شديدا .

(١٤)

وعرف ماجد وسمير أطراف الحقيقة على لسان العجوز الذى قال : .

ـ هناك أشياء كثيرة تضيع . . ويمكن إعادتها . . ومنها الطموح . . إنه الآن فى طريقه إلى «مقبرة الرغبات» كى يدفن هناك إلى الأبد . .

اثار ماحدث للمدينة صدمة قوية لولديها ماجد وسمير . فأخذا يهلوثان ، ويلقيان الاتهامات على مدينة « البرقوق الطازج» . قال سمير :

ـ طبعا . إنهم السبب . سوف نعلن الحرب عليهم . .

رد العجوز : زمن الحروب انتهى . .

عاود سمير القول : ولو . . سيعود ثانية . .

بدت كلماته الأخيرة خابية ضعيفة ، فقد تذكر أنهم لايملكون

أى مؤهلات الآن للحرب ، وتصور أن مدينة «البرقوق الطازج» فعلت ذلك لأنهم واثقون أن نتيجة المباراة ستكون لصالح مدينة «التفاحة البنفسجية» . أو أنهم يعدون العدة للاستيلاء على المدينة بعد أن ينقضوا المعاهدة .

قال العجوز :

ـ أنتما من الشباب فى مقتبل العمر . . ويملؤكما الاندفاع . علينا أن نتأكد من كافة الأمور من أطرافها وأصحاب الشأن . .

تساءل ماجد : ماذا تقصد ؟

قال العجوز : هل توافقان على الذهاب معى لاستعادة الصندوق ؟

رد ماجد : إذا كان ماتقوله حقيقة فـ . . .

وتوقف فجأة عن الكلام . فقد كان العجوز ينظر إليه بعينين كلهما قوة وشباب . وكأنه يقول إن صاحب مثل هذه النظرة لايمكن أبداً أن يقول سوى كل ماهو صادق ، . . تمتم ماجد :

معذرة سوف أذهب معك مهما كان الثمن . .

تمتم سمير بدوره :

ـــ وأنا أيضا . . لكن نحن مجرد لاعبين . . لم نألف المخاطرات . .

قال العجوز :

ـ الحاجة أم الاختراع . . الآن . . هيا بنا . . سنذهب إلى مدينة «البرقوق الطازج» . .

(١٥)

وبعد الاجتماع الطارئ مع أعضاء مجلس إدارة مدينة « البرقوق الطازج» ، كان على العجوز أن يلتقى بكل من عائشة ومصطفى . وذلك باعتبار أن عائشة هى المواطنة الأعلى طموحا فى المدينة ، وذلك حسب تقدير أجهزة القياس الحساسة فى الفترة الأخيرة ، فهى لاتتوقف عن التفكير فى أشياء كثيرة مفيدة لمدينتها ، وأيضا لشخصها .

أما مصطفى فهو المغامر الأول فى المدينة ، يمكن أن يصوب أى سهم فيصيب الهدف بدقة ، باعتباره لاعب الرمح الأول فى المدينة . كما أنه خفيف الحركة والظل ، ولذا فإن أول جملة نطق بها عندما التقى بماجد وسمير هى :

ـ اسمع يازميلى . هناك شىء يحيرنى منذ فترة طويلة . . لماذا أطلقوا على مدينتكم «التفاحة البنفسجية » ؟

وضحك الجميع : ماجد وسمير وعائشة والعجوز للطريقة

التى أطلـق بها مصطفى السؤال . وسرعان مـاجاءت الإجابـة من ماجد :

ـ السبـب بسيط لأنـه لايوجد لـدينا تفـاح بنفسجى . مثلما أن برقوقكم لم يكن طازجا أبدا .

ثم بدأ الاجتماع الأول لمنـاقشة أمور الرحلـة . ولم يخف أحد من المجموعـة أن نتائج الرحلة غير مطمئنـة . ليس فقط لأخطـارها ، ولكن لأن الأربعة لايعرفون قط فنون القتال والحروب ، فهذه أشياء قـد نسيهـا أبنـاء المدينـة منـذ أمـد طـويـل . . ولكـن أيضـا لأن الأشخاص الغامضين الـذين خطفوا « الطموح» فى طـريقهم الآن إلى « مقبرة الرغبات» ، وسوف يصلون إليها حتما قبلهم بفترة طويلة ويختفى الطموح للابد .

تمتم العجوز :

ـ هنـاك طريقـان لاثالث لهما إلى « مقبرة الـرغبات» . الطـريق الدائرى . وهو طويل يمكن اختراقـه فى ثلاثة أيام على الأقل مهما كانت سرعة من يخترقه .

ثم تنهد وقال بهدوء شديد :

ـ أما الطريق الآخر فهو « جسر الأهوال » .

أطلقت عائشة صرخة :

ـ ماذا . . « جسر الأهوال » . . ؟

بدت كـأنها خائفـة ، ومستثارة ، فهـى كطموحـة من الطـراز الأول ، ترغب فى رؤية هذا الجسر، ولكنها فى نفس الوقت تدرك من اسمه ، أن هناك مخاطر بشعة تنتظر من يسلكه . . أكمل .

ـ لاتنسـوا أننا فى مغامرة . وسـوف نستعيد شيئا ثمينـا . ولكل شىء ثمنه .

هنا تدخل سمير :

ـ أنا مستعد أن أقدم حياتى مقابل مستقبل مدينتى .

وقال ماجد :

ـ وأنا أيضا . .

(١٦)

وكان على الرحلة أن تبدأ فوق « جسر الأهوال » . .

إنه ذلـك الجسر البعيد ، الـذى لم يصل إليـه أحد مـن قبل ، وبالتالى فإن أحدا لم يعبره ، ولا يعـرف مخلوق ماذا يمكـن أن يختبئ هناك . ولا ماهو طول هذا الجسر ، ولاماهى الكائنات التى تعيش فوقـه أو عند أطرافـه ؟ . لكنه الطريـق الوحيد لاستعـادة الطموح المفقود .

كان أول شىء يعرفه العجوز أن البساط الالكترونى لاينفع أبدا فى هذه الرحلة . وأنه لابد أن يطأ المغامرون أرض الجسر بأقدامهم، أو يركبوا شيئا يلامس الجسر . ولذا فإن عليه أن يغير خططه ، وأن يعد خططا مختلفة وأن يركب أشياء زاحفة .

هتف العجوز :

ـ ليس علينا أن نبدأ من هنا .

بدأ الخمسة رحلتهم فى أطراف تلك الهضبة الخضراء التى تطل مباشرة على سهل فسيح خال تماما من الحياة ، وعلى مرمى البصر لايمكن لأحد أن يرى أى شىء يؤكد أن جسرا فى هذا المكان .

قالت عائشة :

ـ ليس هناك جسر . .

رد العجوز :

ـ لاتدّع شيئا لست واثقة فيه . .

راحت عائشة تدقق فى الأفق ، لعلها ترى شيئا يؤكد لها أن هناك بوادر ظهور جسر على الأقل ، لكنها لم تر شيئا . تمتمت :

ـ هذه أول مرة أحس أننا فى حاجة لعدسات لاصقة اليكترونية .

تدخل سمير قائلا :

ـ وأنا . لا أرى شيئا بالمرة . .

ثم قال مصطفى :

ـ إنه بالتأكيد جسر وهمى .

لم يهتم العجوز بالرد عليهم ، بل انحنى أرضا ، وراح يفتح مخلاه ، كى يخرج الزحافة الطائشة . الشىء الوحيد الذى يمكن أن يستعمله فى بداية هذه الرحلة المثيرة . .

(١٧)

بدت زحافة غريبة الشكل . .

إنها أقرب فى شكلها إلى رقيقة ، خفيفة للغاية ، من رقائق النايلون ، لايمكن لأحد أن يصدق أنها يمكن أن تحمل خمسة أشخاص وتتحرك بهم .

قال العجوز : هيا . سوف تنطلق الآن . .

لم يحاول أحد من الأربعة أن يتساءل عما يحدث . لقد بدا كل منهم كأنه أسلم مصيره ، لشىء غامض مجهول ، عليه أن ينطلق نحوه ، دون أى سؤال ، ودون أن يبحث عن إجابة ، خاصة عائشة ، صاحبة أعلى درجات القياس فى الطموح .

ما إن داس الجميع فوق أرض الزحافة النايلون الملساء ، حتى

أحسوا كأنهم ينزلقون . قال العجوز :

ـ تماسكوا . . هذا هو أهم شيء ! ! .

ووقف في متدمة الزحافة ، بينما وقف الأربعة إلى ورائه بقليل ، فجأة رفع يده اليمنى إلى أعلى . وانطلق صوته مليئا بالحيوية والشباب . وقال :

ـ توكلنا على الله .

وفجأة ، ودون سابق إنذار، انطلقت الزحافة من أعلى التل كأنها تنزلق فوق جبل من الجليد ، أو كأن هناك انهيارا جليدياً فعلا يحملهم إلى مصير مجهول . . صرخت عائشة :

ـ سوف أهلك . . الحقوني . .

لكن أحدا لم يلحقها ، فقد أحس كل منهم أنه في حاجة إلى من أن ينقذه . لكن سرعان ما أدركوا أن هذا الخوف ، وتلك الصيحات لا أساس لهما ، فقد تحركت الزحافة كأنها تعرف طريقها بشكل جيد .

قال العجوز :

ـ الآن . . دخلنا منطقة جاذبية الجسر . .

لم يكن هناك أحد يمكنه أن يستفسر عما قاله العجوز من أنهم دخلوا منطقة « جاذبية الجسر » ، لكن كان من الواضح أن هذه

صفحة فارغة

الجاذبية بالغـة القوة والشدة ، وأن لاشىء يمكـن أن يقاومها ، أو أن يقف فى تيارها .

(١٨)

بدا التيـار شديدًا للغـاية ، كأنـه السيل مضاعفـا ، وانطلقت الزحافة فى طريقها ، لاتعرف بالضبط إلى أين مستقرها . وتسمرت أعين ركابها من الخوف ، حين اندفعت نحو مرتفع جبلى اعترضهم فجأة . خيـل لهم أنهم سوف ينشقون فى ثـوان معدودات إلى آلاف القطع البشرية ، صرخت عائشة :

ـ انظروا . . سوف تتحطم ضلوعنا .

وقبـل أن تنطق بحـرف التـاء فى جملتها ، كـانت الـزحـافة قـد اخترقت طريقها ، ومرت من أسفـل المرتفع الجبلى من خلال فتحة ضيقة لم يلحظها أحد منهم من شدة الخوف . والذى لم ينته . فقد راحت الزحـافة تمر من أسفل دهليز جبلى ملئ بـالنتوءات يخيل لمن يمر من أسفله أن رأسه يمكن أن يصطدم بسهولة بها . وأنه يمكن أن يضيع فى لحظة .

هتف ماجد فجأة :

ـ رائع . . أحس كأننى فى مدينة الملاهى . .

ورغم أجواء الرعب التى سيطـرت عليهم ، فإنهم جميعا انتبهوا

إلى حقيقـة ماقـالـه ماجـد . وسرعـان ماتحول الخوف إلى بهجـة ، وعمت القلوب فرحة ، وراح ركاب الـزحافة يتطلعون إلى الصخور البارزة أسفل الممر الجبلى ، ومن أعلى رؤوسهم ، وكأنهم بالفعل فى إحدى مغـارات مدينة الملاهى الموجـودة فى مدينتهم ، والتـى هى مصدر بهجة دائمة لهم حينما يزورونها فى إجازات آخر الأسبوع . .

لم يعلق العجوز بشىء . .

لعلـه كـان يعرف أن هنـاك مفـاجـآت أخرى فى انتظـارهـم ، فالزحـافة تنطلق بسرعة هائلـة . ولذا سرعان مااقتربـت من النفق الجبلى ، وانطلقت إلى سهل واسـع ، ما إن رآه الركاب حتـى صاح مصطفى :

ـ انظروا . . إنه الجسر . ! !

وبـدا المشهد مهيبـا للغـاية . فـالجسر مـوجـود هناك ، يبـدو طويلا ، كـأن لابداية له ولا نهايـة ، إنه غريب الشكـل ، لايمكن لعين أن تصل إلى نهايته ، ولايمكن لامرئ أن يصفه لهم مهما كانت بلاغته ، إنه لايزال بعيدا ، والزحافة تنطلق بكل قوتها . .

نظر العجوز إلى ساعة يده وقال :

ـ هيـا ياشبـاب ، يجب أن نلحق بالجسر قبـل أن يغلق أمـامنا أبوابه . .

إنه يعرف أن الوقت شيء ثمين . وأن الأخطار التى قد تفاجئه ستعمل على تعطيله بكل ثمن . وفعلا، فجأة برز أحد هذه الأخطار . .

(١٩)

فجأة، انشقت فى الأرض فجوة أخذت تتسع أمامهم . . وبدت كأنها سوف تبتلع مئات الألوف من مثل هذه الزحافة فى ثوان قليلة . وارتسمت علامات الدهشة على الوجوه خاصة عائشة التى صاحت :

ـ الحقوا . سوف نسقط فى الأعماق . .

وبكل سرعة اندفعت الزحافة نحو مصيرها ، كأنها قد تأهلت للسقوط فى الأعماق ، ولن تخرج قط من هناك . وراح الأصدقاء الأربعة يغمضون أعينهم ، وهم يرتلون بعض آيات القرآن الكريم . والأدعية . وهم ينطلقون فى الفراغ . لم يحس أحد منهم بالندم أنه فعل ذلك . بل راحوا يتماسكون بأيديهم . وكأنهم سيودعون الحياة معا . وأن هذا وحده شرف جميل ، لأنه من أجل هدف نبيل .

وفجأة سقطت الزحافة فوق الأرض . لكنها لم تتحطم . سرعان

مافتحوا أعينهم وراحوا ينظرون حولهم . صاح مصطفى :

ـ انظروا . . فنحن لم نسقط فى الهوة . .

تمتم ماجد : فعلا . ترى ماذا حدث ؟

لم يكن هناك وقت للإجابة . فأمام الزحافة أيضا هوة أرضية أخرى سوف تسقط فيها بعد أن نجحت فى القفز بقوة الدفع الذاتية ، وتمكنت من اجتياز الخطر وسقطت على الجانب الآخر من الفجوة ، وأصبح باب الجسر أكثر قربا . .

من جديد ، انفتحت هوة أخرى واسعة ، بل أكثر اتساعا من الأولى ، واستعدت كلما اتسعت لأن تبتلع الزحافة ، لكن قوة الدفع التى اكتسبتها من القفزة الهائلة الأولى راحت تدفع بالزحافة كى تنطلق فى الهواء من جديد ، وتصل إلى الناحية الأخرى .

ومرة أخرى ظهرت هوة ثالثة . وسمع الرفاق صوتاً مرعباً يخرج من أسفلها وهم يقفزون أعلاها ، لم يعرف أحد ماذا هناك بالضبط . هل هو تنين البحيرة الطويل الرأس الذى يمكن أن يلتقط بلسانه أى شىء أمامه ويبتلعه . أم إن مد البحيرة ارتفع وكشف عن مابالأعماق من أسماك متوحشة شرهة لللحم الآدمى ، وهاهى تجد ضالتها أخيرا .

بدت الزحافة وكأنها تعرف طريقها . فوصلت من جديد إلى

الطرف الآخـر من الهوة التـى تزداد اتساعـا . . ولكن هنـاك فجوة أخرى . . بل وفجوات . . حتى يخيل للمرء أنها لن تنتهى .

صاح سمير :

ـ قلوبنا تهتز بقوة ! !

قال مـاجد : أنت قلبـك يهتز، أما أنـا فأذهب كثيرا إلى مـدينة الملاهى . .

التفت العجوز إلى الرفاق الأربعـة ، وبدا كأن ملامحه قد تغيرت إلى حد ما وقال :

ـ لسنا فى نزهة ياشباب . . نحن فى أشد الرحلات مخاطرة . .

بدا كأن العجوز قد حـاول أن يكشف لهم حقيقة الأمر . وأنهم ليسوا أبـدا فى مدينة الملاهـى . وأن كل مـايحدث أمامهم هـو من الأخطار الحقيقية . وأنه لولا الزحافة المنطلقة بهذه السرعة الرهيبة ، وكـأنها صـاروخ فضـائى ، لسقطوا جميعـا ، وإلى الأبـد ، فى حفـرة عميقة من إحدى هذه الحفر .

وانطلقت الزحافة ، وراحت تقترب مـن الجسر ، لكن ياله من أمر غريب ، فكلما أحسوا أنهم يقتربون من بوابة الجسر، فإنه يبتعد أكثر كأنه لايود أبدا أن يصلوا إليه .

وفعـلا ، فما إن عبروا منطقـة الفجـوات القاتلـة حتـى دخلـوا منطقة الأسياخ النارية . .

فجأة بـرز سيخ ملتهب مـن الأرض ، وراح طرفـه الحاد يلمس طرف الـزحافة واستطـاع أن يثقبها ، وكـاد أن يلمس عائشـة التى صرخت قائلة :

ـ الحقوا . شىء ما يحرقنى . .

التفت العجوز إلى قدمى عائشـة وتنبه إلى الخطر الجديد . كان العجوز قابعا فى مكانه فى مقدمة الزحافة الطائشة ، كأنه قائد طائرة فى مقصورته ، يوجه طائرته حسبما يـريد ، فإذا به يكتشف فجأة أن حريقا شب فى هيكلها ، صاح موجها كلامه إلى عائشة :

ـ لاتخافى ، فالزحافة تسيطر على نفسها . .

وبـالفعل فسرعـان ما استطـاعت الـزحافـة أن تصلح الثقـب الواسع الذى أحدثه السيخ النارى ، وكان عليها أن تواجه مجموعة جديدة من الأسياخ برزت فجـأة وبأطوال مختلفة من الأرض . إنها أسيـاخ ناريـة كفيلة أن تحرق أى شـىء تلمسـه ، وأن تخترق كافـة الأجسام التـى تقترب منها . ولكن لأن الزحـافة الطائشة مصنـوعة كـى تصلح نفسهـا بنفسها كلما حـدث بها عطـب . فإنها راحـت تنطلـق بين صعود وهبـوط . وبقـوة غـريبة . بينما انطلقـت منهـا رشاشـات راحت تطلق أبخـرتها فوق أطـراف الأسيـاخ . تحاول أن تلطف مـن درجات حرارتها . لكن الخطـر لايزال قائما ، فـأطراف

الأسياخ تحولت فجأة إلى مديات حادة وكأنها سيوف تجيد فن القتال .

كان العجوز يعرف تماما أن الزحافة غير مدربة بالمرة لمواجهة مثل هذا الموقف ، فالأسياخ حادة للغاية . وهاهى تنطلق تمزق كل شىء أمامها . ١٥ لأعلى ،

(٢٠)

فجأة برز من مكانه . .

وقف فى طرف الزحافة ودبت فيه روح الشباب ، ورأى الأصدقاء شخصا يبدو كأنه ينتفش ويتمدد ، وقد خلع عنه ثوب العجوز وشيخوخته . وأمسك بيده سيفا خارقا عريض النصل راح يلمع كأنما تنعكس منه كافة أشعة الدنيا . .

هتفت عائشة :

ـ يا إلهى . . من هذا الرجل . ؟

أما المفاجأة فقد اكتملت وبهرت كل من مصطفى وسمير وماجد . وهم يشاهدون « الفارس النادر » وقد قفز فى الهواء شاهرا سيفه وكأنه ذاهب إلى مجهول لايعرف أحد مداه . كان الخوف قد استبد بالشباب خاصة فى اللحظة الأخيرة ، وراح كل منهم يتلو

الأدعية ويطلق الشهادة، وهو يعرف تماما أن النهاية دنت بلا أى شك .

ولكن ما إن ظهر « الفارس النادر » حتى دبت الثقة فى القلوب بعض الشىء، أحس كل منهم أنه أمام بطل لايوجد سوى فى حواديت الأساطير والخيال. وأنه يواجه الأخطار دافعا مصيره أمامه . وقد استعان بالله وبقوته وبشجاعته .

انطلق « الفارس النادر » فى الفراغ . وتعلق فجأة فى الهواء بواسطة حبل متين ربطه بالزحافة التى ثبتت فجأة فوق أحد الأسياخ ولم تشأ أن تتحرك ، وبكل مهارة راح يدور حوله ويبارز كافة الأسياخ التى تحوطه . .

بدت المبارزة غريبة للغاية ، فالأسياخ تتحرك ذات اليمين وذات اليسار كأنها تجيد كافة فنون المبارزة . . لم يستطع «الفارس النادر» أن يحصى عدد الأسياخ التى عليه أن يبارزها . لكنه بدا قويا ، وماهرا ، انطلق السيف فى كل مكان حوله يضرب الأسياخ التى تحولت إلى سيوف باترة، فاستطاع بكل سهولة أن يكسر بعضها ولكن العدد كان كبيراً للغاية .

كان « الفارس النادر » يعرف جيداً أن المسألة تتعلق بالوقت . وأنه إذا لم يستطع أن يجتاز بوابة الجسر فى الوقت المناسب ، فإنه لن

يفعل ذلك قط ، لأنها لن تنفتح قبل شهر على الأقل ، يكون الطموح خلالها قد تم دفنه إلى الأبد فى « مقبرة الرغبات » . لذا كان عليه أن يتخلص من هذا الخطر المتمثل فى الأسياخ الباترة بأى ثمن .

(٢١)

فجأة ، وهو معلق فى الهواء بواسطة الحبل انتصب جسمه ، وراح يوجه سيفه إلى أعلى . فتحول إلى مرآة عاكسة ضخمة مما جعل السيوف (الأسياخ) تتداخل فيما بينها . ثم بدأت فى مبارزة بعضها البعض . .

وكان على « الفارس النادر » أن يعود بسرعة إلى الزحافة ، وأن ينطلق بها إلى طريق « بوابة الجسر » مستغلا تلك المعركة الغريبة التى نشبت بين السيوف الحادة . .

وانطلقت الزحافة . . وبسرعة هائلة . .

فى تلك اللحظات ، كانت البوابة قد بدأت فى التحركى تنغلق على نفسها ، ولمدة شهر كامل ، وبدت الثوانى كأنها أثمن شىء فى الوجود .

وبينما كانت البوابة تتحرك لتنغلق على جسرها الغامض . وبينما

صفحة فارغة

الزحافة تندفع بكل مالديها من قوة ، وبينما السيوف تبارز بعضها . كان هناك شخص أصابه غيظ شديد لما يحدث ، راح يهتف من مكانه وكأنه يحادث البوابة :

ـ اسرعى . وانغلقى أمامهم . . فهذه الاسياخ اللعينة قد خيبت آمالى .

بدت كلماته على الشاشة تعبر عن توسل شخص ضعيف يوجه كلامه إلى باب الجسر ، لم يكن هذا الشخص سوى « الشبح الأزرق» فى برج المراقبة بالمدينة الزرقاء ، يعرف أن جنوده فى طريقهم إلى الطريق الدائرى من أجل أن يدفنوا صندوق الطموح فى المقبرة الأبدية . . وأن « الفارس النادر» يسعى بكل ثمن أن يقطع عليهم الطريق ، وأن يصل إلى هناك قبلهم . لم يكن أمامه سوى أن ينغلق باب الجسر فتروح الفرصة للأبد أمام «الفارس النادر» فى استعادة الطموح . وإقامة المباراة الحاسمة .

بدا كل شىء مثيرا ، تخفق له القلوب . وتنفجر بالرغبة والطموح فى تحقيق الهدف ، انطلقت عائشة صاحبة أعلى درجات فى الطموح تصرخ ، موجهة كلامها للزحافة :

ـ اخترقى البوابة أيتها الزحافة المجنونة وإلا . .

وبدا كأن الزحافة تعرف طريقها . . وأنها ليست فى حاجة إلى

أن يناشدها أحد أن تنطلق بكل سرعة ، أما الشباب الثلاثة فراحوا يهمهمون بألسنتهم كأنهم يطردون الخوف عن قلوبهم ، وهم يقتربون من البوابة فى اللحظة الأخيرة . .

وأخيرا انغلقت البوابة تماما . .

(٢٢)

لكن الزحافة انطلقت فى آخر لحظة ، وعبرت الفتحة الضيقة التى سرعان ماسدت تماما عما أمامها ووراءها . .

ووجد الشباب الأربعة أنفسهم ينطلقون فى صرخات حادة تعبر عن الفرح العميق رغم أن البوابة انغلقت عليهم ، راحوا يهنئون أنفسهم بعبورهم بوابة « جسر الأهوال » . وقد امتلأت وجوههم بالفرحة الغامرة . . قال سمير :

ـ الآن نحن فوق أرض الجسر . . وسيعود كل شىء إلى مكانه .

كان يتحدث كأنه استطاع أن يمسك الطموح بيديه ، ويستعد لإرجاعة إلى مكانه مرة أخرى . لكن فجأة ساذ المكان صمت ، وراحوا ينظرون حولهم . باحثين عن الفارس الذى استطاع أن يتغلب على السيوف الحادة بذكائه وقوته . . لم يروا أمامهم سوى العجوز ممسكا بمخلاة وينظر إليهم ، ويقول :

ـ انتهى دور الزحافة . . علينا أن ننطلق على أقدامنا . .

هنا تساءل ماجد :

ـ أين ذهب ذلك الفارس ؟

ابتسم العجوز ، ثم أدار وجهه ووضع مخلاة على كتفه ، وقال :

ـ لا وقت للأسئلة . . نحن الآن فى بداية الجسر والطريق طويل . . علينا أن نتدبر أمور رحلتنا . .

سألت عائشة :

ـ هل الطريق طويل ؟

قال وهو يمشى أمامهم كأنه يدعوهم أن يتبعوه :

ـ الأمر يتوقف على ماسيقابلنا من أخطار .

لمعت عينا مصطفى وهو يسأل : هل ستقابلنا أخطار أخرى ؟

رد العجوز :

ـ قلت إن الأمر يتوقف . .

تمتم سمير : نحن لانفهم شيئا . .

قال العجوز : فى رحلة الحياة . عليك ألا تفهم بعض الأشياء . إلا بعد أن تتعلمها . .

وبدا الأمر غريبا . وراحوا يمشون خلفه ، ولم يكونوا يعرفون أنهم فى تلك اللحظات كانوا قد دخلوا دائرة المارد النائم . بل إنهم كانوا يمشون بالفعل فوق جسده الهلامى « الخفى » . .

راحوا يمشـون على أقدامهم لمسافة طويلـة فوق أشياء غـريبة الأشكـال تبدو أحيـانا كـأنها مجموعـة من النتـوءات البلاستيكيـة المتعددة الأشكال . وفى أحيان أخرى تبـدو كأنها قطع من البللور الـذى يمكن رؤيـة الـوجوه واضحـة منعكسـة فى داخلها ، وقـد تغيرت أشكال الوجوه .

كان من المثير للدهشة حقا أنهم كانوا يمشون على أقدامهم فوق أرض الجسر الغريبـة ، بدا الجسر عريضـاً لايمكن بلوغ جـانبيه ، ومع ذلـك يبدو هـذان الجانبان كأنهما قـريبان للغـاية . فـالعجوز يعرف أن عامل الزمن بالغ الأهمية ،وأنهم رغم نجاحهم فى الوصول إلى أول الجسر، لكنـه يعـرف أيضـا أنـه طـويـل لانهايـة لـه وملئ بالأخطار.

سأل سمير : لماذا لانركب زلاقات ؟

بدا كأنه يوجه سؤاله إلى العجوز الذى أشار إلى مخلاه ،وقال :

ـ معـى هنا ماتـريدون من زلاقـات . لكن علينا فى البـداية أن نستكشف الجسر ، ونعرف ماهى طبيعة تركيبته . .

بدا كلامه سهـلا ، وعاقلا للغاية ، فلاشـك أنهم الآن فى بداية الرحلة وعليهـم أن يعرفوا ماذا هناك قبـل أن ينطلقوا فوق الجسر .

فالسرعة فى بعض الأحيان شديدة الضرر وعلى المرء أن يتأنى خاصة فى البداية ، حتى يمكنه أن ينطلق وهو مطمئن إلى ماهو مقبل عليه.

لم يكونوا يعرفون أن هذه النتوءات البلاستيكية المتعددة الأشكال التى يدوسون عليها هى جزء من جسم المارد النائم الذى عاش حياته كلها نائما فى تلك البقعة من الجسر، وأنه مصاب بداء النوم ، لأنه مطمئن تماما أن أحدا لايمكنه الوصول إلى منطقته التى يعتبرها مملكته الخاصة .

كان حيوانا غريب الشكل هلاميا فى بعض مناطقه ، وجامدا فى البعض الآخر ، ولأنه لم يحدث قط أن هب من نومه أو أن وقف على قدميه فإن أحدا لم يسبق أن رآه قبلا . . ولذا فإنه لا أحد يعرف كيف يكون شكله . لا أين رأسه . ولا أين توجد أطرافه . فهو متعدد الأشكال . ومتعدد المناطق الحسية . حيث أنه حساس للغاية فى بعض الأماكن من جسده . وفى البعض الآخر يبدو كأنه فقد الشعور تماما . .

لذا فعندما قرر الرفاق أن يستخدموا الزلاقات . لم يكونوا يعرفون بذلك أنهم سوف يوقظون المارد النائم . .

(٢٤)

لأنه لايمكن لكائن ما أن يكون حيا ، إلا من خلال ماوهبه الله من مناطق إحساس . . يحس بها وجود الأشياء ، ولذا فإن المارد النائم مع مرور الأزمنة الطويلة ، فقد الحس فى الكثير من مناطق جسده . . ولم يعد من المهم أن تكون مثل هذه المناطق بذات أهمية فى أن تكون حساسة أو أن تكون ذات حسية ما . ومع الوقت انعدمت أهميتها .

ولذا ، فعندما سار الرفاق الأربعة فى صحبة العجوز فوق جسد المارد النائم ، كانوا يتصورون أنهم يمشون فوق مناطق وعرة ، وسهلة من الجسر ، ولم يكن لأحد منهم أن يتصور أن تلك النتوءات البلاستيكية ليست سوى جزء من جسم مارد ضخم ينام فى هدوء شديد .

ساروا مسافة طويلة على حذر منتبهين تماما لما يمكن أن يقابلهم ، أو أن يظهر فجأة شىء من أى مكان يمكن أن يهاجمهم بسرعة ويتخلص منهم . لذا قالت عائشة موجهة كلامها إلى العجوز :

ـ لو افترض أن ظهر لنا شىء علينا مقاتلته ، فماذا نفعل ؟

التفت العجوز إليها وقال وهو يبدو كأنه قد تنبه لشىء هام فاته أن يحسمه :

ـ آه . . فعلا . . خذوا . .

وبسرعة مد يده داخل المخلاة ، وأخرج سيوف المواجهة الصغيرة ، وكرر نفس العبارة :

ـ السيوف أنبل الأسلحة لمواجهة الخصم .

أمسك سمير سيفه ، وبسخرية شديدة قال :

ـ العصر يتطور . . ولم يعد السيف مناسبا لمواجهة مثل هذه الأخطار .

فجأة شرد سمير ، وتذكر تلك المعركة الغريبة التى دارت بين الفارس الذى انبثق عن العجوز ، ولذا سرعان ما غير لهجته وهو يقول :

ـ لكننى لا أجيد المبارزة . .

قال العجوز :

ـ انظر جيدا إلى سيفك ، وستعرف كيف تستعمله . .

وكانت المفاجأة حين نظر إلى سيفه ، بل حين نظر الجميع إلى السيوف التى بين أيديهم . .

(٢٥)

فجأة تحولت السيوف بين أيديهم إلى مسدسات يمكنها أن تطلق أشعة ، ثم تحولت إلى مدافع صغيرة يمكن إطلاقها عند

اللزوم . . قبل أن تصبح سيوفا مرة أخرى ، قال العجوز :

ـ لايهم ماذا تملك من سلاح ، المهم أن تجيد استعماله عند اللزوم . .

ثم راح يشرح لهم الأسلوب الأمثل لمواجهة المخاطر ، مهما كانت ، فالمرء لايستخدم أى سلاح إلا عند الضرورة القصوى ، وفى حالة الدفاع عن النفس أو لتخليص إنسان من شر حقيقى يحيط به وطلب منهم عدم إشهار السيف أو الأسلحة التى فى أيديهم إلا عند اللزوم . .

ثم قال :

ـ الآن . . جاء وقت الزلاقات .

ومد لكل منهم بزلاقته ، ولأنهم رياضيون ماهرون ويتمتعون برشاقة وخفة ولياقة بدنية ، كان عليهم أن ينطلقوا فى طريقهم بواسطة الزلاقات ، يرتفعون مع النتوءات الكبيرة ثم يبدون كأنهم يطيرون لمسافات قبل أن يهبطوا مرة أخرى فوق الأرض .

كان المنظر جميلا ومثيراً للغاية ، وبدا الجميع كأنهم فى استعراض للمهارات ، بل إن كلا من عائشة ومصطفى أحس أنه مندوب من مدينة « البرقوق الطازج » ، وأن عليهما أن يسبقا لأول مرة كلا من ماجد وسمير بصفتهما المواطنين اللذين يمثلان مدينة «التفاحة البنفسجية» .

وبدا السباق مثيرا ، لكنه متكافئ . حيث انطلق الأربعة خلف العجوز الذى تصلبت قدماه فوق الزلاقة وهى تندفع به كأنه شاب فى الخامسة والعشرين من العمر لا أكثر . كان كلما سبق فريق الآخر لحق به زميله وسبقه ، حتى اصطدم ماجد فجأة ببقعة قرمزية فكاد أن يسقط فوق الأرض .

حاول أن يتماسك وهو ينظر إلى البقعة القرمزية . لاحظ أن هناك شيئا غير عادى يتحرك فى داخلها ، وكأنها عين لشخص فدقق فيه جيدا . هز رأسه كأنه يوشك أن يغمى عليه ، أو كأنه واقع تحت تأثير تنويم مغناطيسى ، صاح ينادى زملاءه لكن صوته بدا خائراً ضعيفاً للغاية . فلم يسمعه أحد . حاول أن يتحرك من مكانه ، لكن الزلاقة بدت كأنها تحجرت فى مكانها ولاتود أن تتحرك .

التفت حوله ، فرأى زملاءه قد ابتعدوا كثيرا عنه . وأدرك أنه وقع فى مأزق ، لكنه لايعرف بالضبط ماهو نوع الخطر القادم إليه .

(٢٦)

تحركت البقعة القرمزية . وبدت كأنها تنمو وتكبر ثم انطلق منها صوت أجش يثير الخوف الشديد فى القلوب :

صفحة فارغة

ـ لقد أيقظت النائم ، فالويل لك !!

نسى أنه يملك ، سيفا وأنه يستطيع أن يخرجه فى أى وقت لمواجهة تلك البقعة القرمزية التى انطلق منها الصوت ، لم يعرف ماذا يفعل لكن فجأة اختفت البقعة ، وكأنها لم تكن فى مكانها ، التفت حوله . رأى زملاءه يشيرون إليه من بعيد أن يلحق بهم ، لكنه مايزال واقعا تحت تأثير الدهشة .

أحس الرفاق أن هناك شيئا ما ، فانطلقوا عائدين نحوه ، سأله العجوز عندما بلغ مكانه :

ـ ماذا حدث ؟

أشار ماجد بعينين زائغتين إلى المكان ، وقال بحروف مهزوزة :

ـ شىء ماكان هنا . !!

نظروا فى اهتمام شديد إلى المكان الذى يشير إليه ، لم يكن هناك مايؤكد وجود أى شىء حولهم ، هتف ماجد :

ـ إنها بقعة قرمزية !!

صاحت عائشة مازحة : عندما سنعود سنعرضك على الطبيب الكومبيوتر المتخصص فى زوغان العيون .

صاح مصطفى :

ـ هذا إن كنا سنعود . .

فجأة تلاعبت الأفكار برأس عائشة ، أحسـت ، بما تملكه من غريـزة الفضول والطمـوح ، أن ماجدا لايمكـن أن يكون كـاذبا أو متوهما لحقيقة جعلته فى هذا الحال من الحيرة ، فقالت :

ـ لعل هناك شيئا ما فى الأرض ! !

هتف سمير :

ـ لننظر . .

وراح سمير ينحنى نحو الأرض وهو يدقق فى البقعة التى أشار إليها ماجد . لم ير شيئا يمكن أن يؤكد ماقاله زميله ، فرد :

ـ ليس هناك سوى شىء يشبه حبة رمل قرمزية اللونْ .

كـان يتكلـم فى سخـرية لاذعـة ، محاولا إضفـاء البهجـة على زملائه ، ودون أن ينتبـه ، أحس بشىء يصعقـه بشدة ويقـذف به بعيداً لمسافة أمتار . .

(٢٧)

صاح العجوز :

ـ تراجعوا إلى الوراء . .

وبكل سرعة انطلق من الأرض ومن حبة الـرمل القرمزية شىء ضخم ، راح يعلـو فى الجو كأنـه شجرة أخـذت تتفرع وتتفـرع أمام عيونهم وراح ظلها الرهيب يظللهـم ، احسوا أن الأخطار قد بدأت

تنمـو وأن على « المارد النادر » أن ينسلـخ مـن العجوز كلما نمـت الشجرة القرمزية التى بدأت التهديدات تنطلق منها :

ـ الويل لكم . لقد أيقظتم « المارد النائم » ! !

لم يكن أحد يـدرى أن تلك الحبة الضئيلة ، التى تضـاهى حبة الرمل القرمزية اللون ، هـى أقوى مراكز الحس عند « المارد النائم » وأنه عندما داس ماجد عليها بـزلاقته جعل المارد يتأهب للقيام من نومه الطويل .

وعلى وجه السرعة . برزت من الشجرة القرمزية أفرع حادة بدت كأنها تستعد للمواجهة ، إلا أنها لم تتحرك بعد ، بينما وقف «الفارس النادر » شـاهراً سيفـه الخارق متوقعـا كل الاحتمالات . فقـد بدا أن هـذه الشجـرة سـوف تنجـب خـلال لحظـات مئـات المقـاتلين الشرسين .

فجأة ، انطلـق نفس الصوت الأجـش المثير للرعب مـن جوف الشجرة القرمزية :

ـ الويل لكم لو لم تسلموا لنـا واحداً منكم نروى بدمائه الأرض القرمزية . .

بدا الكـلام غريبا وخـاصة بالنسبـة للفارس النادر ، فـرغم أن النبرة مثيرة للخوف وتبدو شديدة الجشاشـة ، فإن هناك شيئا ما فى معانـى الكلمات التى نطقـت بها الشجرة القرمـزية . فـلاشك أن

مايحدث ليس سوى تهديد لا أكثر . فلماذا تريد الشجرة القرمزية أن يسلموا واحدا منهم، ولماذا لايأخذونه عنوة وقوة طالما أنهم قادرون على ذلك؟

وبينما راح يفكر فيما يمكن أن يفعل ، سمع «الفارس النادر» ورفاقه نفس الصوت الأجش ينطلق من أعماق الشجرة :

ـ نحن نريد هذه الفتاة الصغيرة !!

التفت الجميع إلى عائشة ، ثم راحوا يلتفون حولها كأنهم يحمونها من خطر ، وجاء الصوت الأجش مكملا :

ـ فدماء البنات هى الشىء الوحيد الذى يعيد المارد لنومه الأبدى . .

وبدا الأمر محرجاً ومثيراً للتساؤل ، فماذا يمكن للجميع أن يفعلوا لمواجهة هذا الخطر ؟ .

قبل أن يفكر «الفارس النادر» فيما يمكن أن يفعل ، تحولت أفرع الشجرة القرمزية إلى سيوف خشبية أخذت تتحرك هنا وهناك مما أثلج قلب الفارس، فلاشك أنه يمكن التخلص منها فى وقت وجيز بواسطة الأشعة المتقطعة التى تنطلق من مسدسات الأشعة التى يمكن للشباب أن يشهروها وهم يمسكون سيوفهم، أحس أن الخطر ليس شديداً . وأن عليه أن يواجه الأمر بشىء من الحكمة

التى يمتلكها العجوز .

وفجأة انتابته فكرة .

فطالما أن المارد النائم يـود الحصول على دماء الفتاة عـائشة كى ينام من جديد . فلماذا لايجعله ينام دون أن إساله الدماء ؟

لم يكن هناك وقت للتفكير . . ففجـأة تغيرت الأشياء وامتدت الـزوائد التـى لم تتحـول إلى سيـوف بعـد ، والتفـت بسرعـة حـول عائشة . . وفى لمح البصر كانت قد اختفت . .

حدث كـل شىء بسرعة لم يتوقعهـا أحد ، وبدا كـأن العملاق النائم لم يترك الفرصة لأحد أن يفكر أو أن يتردد .

راح كل من سمير وماجد ومصطفى يضرب فيما حوله من أجل إنقاذ الفتـاة . لكن كل شـىء اختفى فجـأة . . الشجرة القرمـزية تحولت إلى نقطـة صغيرة أقرب إلى حبـة الرمـل . . وعاد المكـان إلى شبه صحراء جرداء ليس بها سوى بعض النتوءات .

صرخ ماجد :

ـ يجب أن ننقذها قبل أن يلتهمها المارد النائم ! !

انطلق الفارس فوق زلاقته وهو يقول :

ـ هيـا بنا نلحق فم المارد قبـل أن ينغلق عليها . إنـه لم يلتهمها بعد . .

واندفع الأربعة إلى مجهول لايعرفونه ، فالمارد النائم حيوان غريب الشكل ومتعدد التركيبات وسريع التغيير ، ولـذا فبعد قليل تحولت الصحراء إلى غابة كثيفة لاينفع فيها الانزلاق فوق الزلاقات، ورغم ذلك جاهد الرفاق بقيادة الفارس النادر أن يفسحوا لأنفسهم طريقا حيث راح السيف الخارق يقطع الأعشاب الكثيفة ، أما ماجد فقد سعى بكل مالديه إلى إطلاق الأشعة المتقطعة كى يفسح لزملائه مكانا للانطلاق .

. بدت المطاردة غريبة ومثيرة . فالزلاقات تنطلق بسرعة شديدة ، رغم وعورة الطريق . ورغم تلك الشجرة الضخمة التى سقطت فجأة أمامهم، فراحت تقطع عليهم سبيل التقدم .

(٢٨)

صاح « الفارس النادر » :

ـ اقطعوا هذه الشجرة . .

ثم وجه نصل سيفه الخارق إلى جذع الشجرة الضخم الذى يصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار، وبسرعة تحول نصل السيف إلى منشار آلى ضخم راح يقطع الشجرة وإلى جواره اندفع مصطفى بسيفه الصغير يحاول أن يقلده .

وما إن كادوا أن يقطعوا الشجرة الضخمة حتى فوجئ كل منهم كأن شيئا لم يكن ، وأن عليهم أن يبدءوا من جديد ، فسرعان ما التأمت الشجرة مرة أخرى كأن المناشير لم تمسها قط .

وحاولوا مرة ثانية وثالثة ، وأخيرا نجحوا فى قطع جذع الشجرة إلى جزأين . كان على كل منهم أن يدفع بهما معا من أجل إزاحتهما عن الطريق، لكن وقبل أن ينتهوا من قطع الجزء الأخير عادت إلى هيئتها الأولى وكأن شيئا لم يكن .

ووقف الأربعة حيارى وهم يحسون بالعجز ، فها هو السيف الخارق يبدو عاجزا عن قطع الشجرة ، وبالتالى فإن السيوف الأخرى التى يمتلكها الرفاق فشلت بدورها فى قطع الشجرة. هنا صاح سمير :

ـ لنجرب الأشعة المتقطعة . .

وسرعان ماتحول سيفه إلى مسدس انطلقت منه الأشعة المتقطعة ، لكن فجأة صاح «الفارس النادر » :

ـ انتبه . فالأشعة لاتنفذ . إنها ترتد إلينا . .

وانحنى سمير أرضا كى يتلافى الأشعة القاتلة التى ارتدت إليه من الشجرة الضخمة التى لم ينجح أحد حتى الآن فى قطعها . هنا قال الفارس بصوت بدا كأنه يخرج من أعماق رجل عجوز ملئ بالحكمة :

ـ ياإخوانى . لكل شـىء قلبه ، وفى قلب الشىء مقتله . يجب أن ننفذ داخل الشجرة . .

وقبل أن ينتهى من جملته ، كان قـد اندفع بسيفه فى قلب جذع الشجرة، كأنه يطعن شخصا ما يبارزه، ويسعى للتغلب عليه . .

وفجأة سمعوا أنيناً ينطلق من داخل الشجرة . هلل مصطفى :

ـ هل سمعتم ، إنها تموت؟

وفجأة انفتحت فى الشجرة دائرة صغيرة انبعث من داخلها لون أخضر بـدا كأنـه انعكـاس لأحجار كـريمة . هنـا تسمـر الرفـاق الأربعة . وأحسوا كأن هناك من يدعوهم للدخول . قال ماجد وهو ينظر إلى الفارس كأنه يحاول أن يستفسر منه عن شىء غامض :

ـ هل ندخل . . أم تعتقد أنه فخ . . ؟

(٢٩)

بـدا الأمر مثيراً لـلارتبـاك الشديـد . فهنـاك شـىء ما جـذاب يدعـوهم للدخول فى بـوابة الشجرة الخضراء . لم يكن هنـاك وقت للتردد ، فسرعان مـا دخل « الفـارس النادر » يتبعـه رفاقـه الذيـن تأكدوا أن ثمن المخاطرة هو الإقدام وعدم الخوف مهما كان الثمن .

وفى جوف الشجـرة كان هنـاك عالم سـاحـر ، جميل ، بـدا كأن

هناك ملايين المصابيح الغير مرئية ، قد عسكت أضواءها الخضراء فى كل مكان ، وراح الأصدقاء يتقدمـون بحذر شديد داخل مكان أشبه بنفق غريب الشكل ، كان كـل منهم يحس كأن سيوفا سوف تخرج فجأة من بين الجدران كـى تنغرس فى أجسامهم . ولـذا كان يمكن لكل منهم أن يسمع نبضات قلـب رفيقه ، ليس أبداً بسبب الخوف ولكن مـن الحذر والتيقظ كأنهم قـد استعدوا جميعـا لمجابهة أى خطر يبرز فجأة ، وينال مايريد .

فجأة صرخت عائشة :

ـ الحقوا !

تسمر الجميـع فى أماكنهـم . وراحوا ينظـرون إلى المكان الـذى أشارت إليه ، لم يكن سوى فأر أحمر اللون سرعان ما اختفى . قال « الفارس النادر » :

ـ حسن . إذن هناك منفذ ما .

لم يفهم أحد شيئا ، فهم لم يعرفـوا بعد ماذا تكون الشجرة ، ولا إلى أيـن يـؤدى النفـق الـذى هـو فى حقيقـة الأمـر ليس سـوى جـذعهـا . . كان عليهـم أن يبحثـوا عـن الفـأر بأى ثمـن فلعلـه يرشدهم إلى مكان ما للخروج . خاصة أنهم كلما تقدموا فى الطريق أحسوا أنهم يتوغلون فى مجهول لامخرج منه .

فجأة صاح سمير :

ـ هاهو الفأر . .

كان منظره غريبا حقا ، ليس فقط بسبب لونه الأحمر وشواربه البيضاء ، وكأنه سقط فى حوض ملئ بالأصباغ . وقف ينظر إليهم . وكأنه يود أن يقول شيئا هاما ، وكأنه يعرف طريقه جيدا .

كادت عائشة أن تصرخ ، فهى لاتحب الفئران وتشعر كأن قشعريرة تصيب جسمها لو اقترب فأر منها . أما « الفارس النادر » فقد قال :

ـ علينا أن نسير خلفه .

وبالفعل راح الفأر يتصرف كأنه يقوم بقيادة مجموعة الرفاق . وخاصة عندما دخلوا فى دائرة فروع الشجرة الضخمة ، وأحسوا كأنهم سوف يضيعون داخل لعبة المتاهة الأبدية التى لامخرج منها .

راح الفأر يحفر فجأة فى الأرض ، هنا قال « الفارس النادر » :

ـ علينا أن نفعل مثله . .

تدخل مصطفى قائلا : أليست معنا سيوف الأشعة المتقطعة ؟

رد الفارس النادر : فى بعض الأحيان نلجأ إلى البساطة والطرق البدائية . .

وراحوا يقلدون الفأر فيما يفعل . . لم يستغرقوا وقتا طويلا .

أحس ماجد كأن هناك شيئا معدنيا يصطدم بأصابعه ، صاح :
ـ يبدو أنه صندوق . .

ثم راحوا يحفرون حول الصندوق . وقد امتلأت قلوبهم بالتساؤل . فترى ماذا يوجد فى هذا الصندوق ؟ هل هناك كنز من الذهب والأحجار الكريمة . أم يوجد طلسم الخلود الذى لايعرف أحد سره ؟

نجحوا فى إخراج الصندوق ، كان غريب الشكل يبدو لامعا كأنه من الأحجار النادرة . قال الفارس بلكنة العجوز وصوته :
ـ هل صدقتم ماقلت . لو كنا أطلقنا الإشعة المتقطعة لأفسدنا مابه ؟

سأل سمير :
ـ لكن ماذا به ؟ هيا نفتحه . .

لم يبذل مصطفى أى مجهود وهو يمسك الصندوق بين يديه ، وراح يفتحه بسهولة ، وهنا كانت المفاجأة . صاحوا معا . وبصوت واحد :
ـ يا إلهى . . إنها أقراص . ! !

وقبل أن يلمسها مصطفى بأصابعه صاح « الفارس النادر » بصوت العجوز :

ـ لاتلمس شيئا . . قبل أن تعرف ماذا يكون . .

لم يستطع أحـد أن يفهم سر هـذه الأقراص الصفـراء . كانـت كبيرة الحجـم بشكل يلفـت الأنظـار ، راح الجميـع يقلب العلبـة محاولا أن يفهم سرهـا ، وكأن هناك تعليمات يمكـن الاستدلال بها على هوية هذه الأقراص . . هنا قالت عائشة :

ـ أكيد إنها تخص المارد النائم .

وعلى الفـور لمعـت فى العيون تسـاؤلات واستفسـارات ، نطـق الفارس :

ـ رائع . . إنها هى . . لقد خدمنا هذا الفأر كثيرا .

وراح يلتقـط الصندوق ويـدقق فيهـا بحـدة كأنـه يتحقق مـن صحة أفكاره . ثم قال :

ـ يجب أن نخرج من هنا حالا .

سأل مصطفى وسمير معا : ماذا هناك ؟

رد بسرعة : يجب أن ينام المارد .

راح ينظر حولـه لعله يجد مكانا يخرج منـه إلى سطح الجسر مرة أخرى . . ثم قال :

ـ الآن جاء دور الأشعة المتقطعة . .

كان عليه أن يترك الرفاق ليقوموا بهذه المهمة ، ولم يشأ أن يفعل

ذلك بسيفه الخارق ، أحس الرفاق الأربعة بأن هناك مسئولية ملقاه على عاتق كل منهم ، فراحوا يحولـون سيوفهم إلى مسدسات تطلق الأشعة المتقطعة ، وأخذوا يسلطونها على جزء ممـدد من باطن جذع الشجرة ، وبـدا كأنهم يقـومون بصهر قطعـة ضخمة مـن الصلب أسفل نيران قوية وشديدة .

وبعـد قليـل ، خـرج الجميـع إلى الجسر مــرة أخـرى ، كـانـوا يتصورون أنهم سوف يرون ضوء النهار أمام أعينهم . ولكن المفاجأة أن المكان بدا مظلما للغاية وكأن شيئـا ما يحجب ضوء النهار عنهم ، رفع ماجد عينيه إلى أعلى . وهتف :

ـ انظروا . . إنه هو !!

وسرعان مـارفعوا أعينهـم إلى أعلى . كان هناك ، بـدا كأنـه قد استيقظ من النوم لتوه ، وأنه الآن فى قمـة نشاطه . ويستعد لمعاقبة كل هؤلاء الذين ساهموا فى إيقاظه من نومه اللذيذ .

(٣٠)

كان ضخماً للغاية ، كأنه إحـدى ناطحات السحب العالية ، أو كـأنـه دودة شريطيـة متعـددة الطبقات ، ويبـدو وجهـه بـالـغ الضخـامة كـأنه قطعـة حية محفـورة داخل جبـل عملاق ، لمعت

عيناه، ثم تثاءب ، فانطلقت من فمه عاصفة هوجاء طوحت بهم جميعا بمن فيهم « الفارس النادر » أرضا وأبعدتهم عن بعضهم .

حاولوا أن يتماسكوا من جديد ، وبدا أن هم « الفارس النادر» هو أن يحتفظ معه بصندوق الأقراص مهما كانت المخاطر . فهو الآن يعرف فوائدها . . كان يعرف أن على المارد أن يعود مرة أخرى إلى نومه العميق . . وأن ذلك يحتاج إلى مجهود ضخم ومهمة صعبة للغاية .

حين التموا مرة أخرى، قال « الفارس النادر » :

ـ هل تعرفون ماذا يعنى الطموح الذى نحن بصدد البحث عنه . . إنه استمرار الحياة . ولو لم نصل إليه ما اعتبرنا أنفسنا أحياء . .

قال مصطفى : لكن ، ماذا نفعل ، إنه ضخم ، وقوى . .

أشار الفارس إلى الصندوق الذى بين يديه ، وقال :

ـ هذا هو الحل الأكيد . .

لم يكن هناك وقت كى يشرح لهم ، فها هو المارد يستعد لأن يتثاءب من جديد ، كان غريب الشكل فعلا ، وبدا وجهه كأنه مصنوع من الصخور ، التى بدت الآن عاليه كأنها قد امتصت السحب وعلت فوقها .

أصبح عليه أن يتسلق جسد المارد بأى ثمن، وأن يصل إلى هذه الرأس الغريبة دون أن يمسَّـه ضر أو أذى . . لكنه يخشى أن يمس أى نقطة حسـاسة مـن جسم المارد فيجعلـه أكثر يقظـة . لذا راح يدبـر خطته مع رفـاقه الشباب . كـان على الرفاق أن يشـدوا انتباه المارد دون أن يصيبوه بأذى . فهو رغـم ضخامتـه وقوته ليس سوى كائن مسكين وجد نفسه قد صحا من نومه العميق، وعليه أن يثأر بأى ثمن من هؤلاء الغزاة الذين فعلوا ذلك . .

قامـت الخطة على أسـاس أن يتسلق « الفـارس النادر» جسـد الحيوان الضخم بكل سرعة وبكل مايمتلك من مهارة فى مثل تلك الأعمال، وأن ينجح الرفاق فى أن يدفعوه بـأى ثمن كى يفتح فمه، سواء بأن يتثاءب أو أن يطلق صرخة ألم . .

ترى هل ستنجح الخطة ؟

(٣١)

فجأة دب فيه نشاط غريب الشكل . .

وراح يقفز بين أضلع المارد النائم كـأنه يتسلق جبلاً ضخماً بينما أخذ الرفاق الأربعة يطلقون الطلقـات الأوتوماتيكية من أجل إلهاء المارد عن الفارس الذى نجح فى أن يتسلق جسده .

فجأة صاحت عائشة :

ـ اضربوا عليه مباشرة . . هذه هى الخطة !!

لم يكن أحد منهم يملك من المهارة لدرجة أن يصوب بدقة نحو أنفه الضخم، فيجعل الطلقة تمر على مسافة قريبة من أنفه فيشم رائحتها دون أن تصيبه بأى أذى، فيضطر أن يغلق أنفه ويفتح فمه من أجل أن يستغل الفارس الفرصة، ويقذف فى داخل جوفه بكيس الأقراص المنومة التى ستعيد المارد مرة أخرى إلى رقاده الأبدى .

أمسك مصطفى مسدسه وراح يصوب المسدس نحو أنف المارد، وبدأت يده فى الاهتزاز، فهو لاعب كرة ولم يكن أبداً من الرماة الماهرين، قال وهو يرتجف :

ـ أخاف أن تمسه الطلقة فتؤذيه وأن يتحول إلى وحش كاسر .

وقبل أن يشد منه ماجد المسدس كى يستعد بدوره ليصوب فوهته نحو المارد، انطلقت عاصفة هوجاء راحت تدفعهم مجدداً وتسقطهم بعيدا ، صاحت عائشة وهى تتطاير :

ـ إنه يتثاءب . .

يالها من فرصة نادرة، ففى تلك اللحظة كان « الفارس النادر» قد تشبث بذقن المارد المليئة بالنتوءات ، وأخذ يقاوم كل تلك العاصفة التى تنطلق من فم المارد وهو يتثاءب ، ثم أسرع، وبكل

قوته، رمى بكيس الأقراص داخل فمه . .

وسقط الكيس فى فم المارد . . فأغلق شفتيه عليه . .

يستعد مرة أخرى للتثاؤب كأنه يحن للنوم من جديد . .

وبينما راح المارد يبتلع كيس الأقراص المنومة ، كان «الـ

النادر» قد أطلق جسمه فى الهواء وراح يسقط فوق أرض الجـ

بدت المسافة عالية ، لكنه بدا من الرشاقة حداً جعله يصـ

الأرض سالما دون أن يصاب بأى أذى . .

وتحركت الأحداث بسرعة ، وبدا المارد كأنه يتثاءب من جد

وكان على الجميع أن ينطلقوا هاربين قبل أن يجثم المارد

أجسادهم وهو يمدد جسمه ، ويستعيد نومه مرة أخرى .

بدا النعاس ماثلا على وجهه . وراح فكاه يتلاطمان كأنه فى

الحاجة للنوم ، هتف مصطفى وهو يهرول جاريا :

ـ سوف ينام . إنه يتثاءب !!

وبدأ المارد يضع الأقراص . ثم يبتلعها . . هنا صاح المارد

ـ انظروا . . هيا نهرب من هنا . .

كانت هناك فتحة ضيقة أسفل المارد يمكن النفاذ منها إلى

الأخرى من الجسر ، وبينما استعد المارد للنوم مرة أخرى ، جـ

الرفاق الأربعة فى عمل فتحة أكثر اتساعا يمرون فيها إلى الجـ

صفحة فارغة

الآخر . . فقد كان جسم المارد غريبا فى تركيبه، يبدو فى أجزاء منها أقرب إلى الهلامية وفى أجزاء أخرى كأنه من الصلب الأبيض اللامع الذى لايمكن لأحد أن يخترقه ، وبينما حاولت عائشة أن تمر من تلك الفتحة الضيقة ، بدأت الفتحة تضيق وتتحول إلى صلب متين بعد أن كانت شديدة الرخاوة، وهلامية التكوين .

صاح « الفارس النادر » :

- اسرعوا فالوقت ضيق ، والمارد وقد أن يسقط علينا بين لحظة وأخرى .

وبالفعل بدا المارد يترنح وهو يستعد للنوم مرة أخرى ، ولذا كان على عائشة أن تمر وأن تغوص بين المادة الهلامية التى تشعر بالاشمئزاز الشديد منها ، وهى تغوص فيها حتى لايضغط الصلب عليها فيحطم ضلوعها .

ومرت عائشة ، ثم قفز مصطفى فى داخل المادة الهلامية يتبعه سمير ، ثم ماجد . . أما « الفارس النادر » فكان آخر من استطاع أن يمر فى اللحظة الأخيرة .

بدا كأن مفعول الأقراص قد حدث بسرعة ، فراح المارد يقترب من الأرض بواسطة زوائده المتلاصقة .

لكن المسكين لم ينم . لقد ظن نفسه أنه قد مضغ أقراص

التنويم . لذا خيل له أنه سوف ينام . لم يكن يعرف أن الأقراص التى ابتلعها هى فى حقيقة الأمر للتنشيط وأنه قد دبر هذه المؤامرة كى ينتقم من « المارد النائم » الذى قضى فى يوم ما على جنس الفئران الحمراء ذوات الشوارب البيضاء .

(٣٢)

وجد الرفاق أنفسهم بعيدا عن منطقة المارد النائم « ابو النوم» الذى تحول الآن إلى مارد متيقظ لايمكنه أن ينام لسنوات طويلة . .

لم يكن يمكن للمارد المتيقظ دوما أن يخترق أحمد منطقته فوق جسر الأهوال ، وذلك حسب القوانين الموضوعة هناك ، لذا فرغم أنه قرر أن ينتقم ممن كانوا سببا فى إصابته بمرض اليقظة الأبدى ، فإنه لم يعد يستطيع أن يفعل شيئا بالمرة .

وقف العجوز ينظر إلى الأفق حوله وإلى جواره الرفاق الأربعة ، بدا الجسر طويلا وكأنه لانهاية له بالمرة ، إنه أشبه بثعبان ملتو ، يغوص فى أماكن عديدة وهو يبدو كأنه سور الصين العظيم يخترق الجبال بلا نهاية .

كادت عائشة ، المعروفة بأنها صاحبة أعلى درجات طموح فى

مدينتها ، أن تطلب العودة بعد أن أصابها الخوف أكثر من مرة ونجت من أخطار حقيقية . إلا أنها تراجعت فى رغبتها ، أن تتحدث عن مشاعرها . فهى تحس أنها عضو فى فريق جاء لمهمة مقدسة ، فالأخطار إذا جاءت فإنها تجئ للأربعة مجتمعين بالإضافة إلى ذلك العجوز أو رجل الخيال الغريب الأطوار كما تحب أن تلقبه بينها وبين نفسها .

لم يكن أحد يعرف أن هذا الطريق الطويل الذى يبدو ساكنا الآن يؤدى إلى منطقة أخرى من مناطق الأهوال التى تمتد بطول الجسر، وأنهم مقبلون الآن إلى منطقة أشد خطورة . منطقة لاتعرف الرحمة ولاتتعامل بالمشاعر . فإذا كانت المعركة السابقة قد تمت دون إراقة نقطة دم واحدة ، وذلك للتعاطف الذى حدث بين« الفارس النادر »، وبين المارد النائم « أبو النوم»، فإن المنطقة الجديدة تحتاج إلى معاملة خاصة . .

إنها منطقة الخداع البصرى . .

منطقة عدم اليقين التى لايمكن لأحد أن يتأكد فيها من هوية الأشياء التى أن تقابله .

إنها منطقة التناقضات والغرائب والعجائب ، وعلى أبطالنا أن يجتازوها بأقل خسائر ممكنة .

(٣٣)

فى البـدايـة ، بدا كـل شـىء سـاكناً هـادئاً يبعـث على الهدوء والارتياح . جلس« الشبح الأزرق» يرقب المشهـد أمامه وهو يكظم غيظه ويود أن يحطم كل الأشياء التى حـوله ، فها هو عدوه اللدود «الفارس النادر» ، قد نجـح فى اختراق منطقة « ابو النوم» دون أى خسائر تذكر ، كـان يتمنى ، على الأقل ، لو فقد واحداً مـن رفاقه فتصيبه الحسرة والتردد ، ويقرر أن يكف عـن استكمال رحلته المليئة بالمخاطر والغموض .

راح يردد فى داخل نفسه :

ـ بودى ولو لمرة واحدة أن انتصر على هذا « النادر » . .

فى هذه المرة لم تخرج كلماته على الشاشة الأليكترونية ، هو الذى اختار أن يتكلم فى صمت . وأن تبدو عباراته مسجلة على الشاشة أمامه خاصة كلماته الصارخـة ، فهو منذ أن تولى الأمور فى « المدينة الزرقاء» . وهو يتتبع أساليب تجعـل أتباعه يتساءلون دوما عن سر تصرفاته الغريبة .

لم يكن أحد يعرف لماذا فكر « الشبح الأزرق » فى سرقة الطموح من مدينة « التفاحة البنفسجية » ، ولا مـاهو هدفه سوى أن يجعل أبناء المدينـة يصابـون بالإحباط ، وأن يشعـروا أن الغد لا أمـل منه

ولافائدة . لقـد تصور أنه بهذا يفتح البـاب لأبناء مدينـة « البرقوق الطـازج» بـأن يفكـروا فى الإستيـلاء وبـأقصـى سرعـة على المدينـة المنافسـة ، وأحس بالإحباط الشـديد أن أبناء هذه المدينـة قرروا أن يعيدوا الطمـوح المفقود بـأى ثمن ، لأنه لاطمـوح بلا منـافسة ولا منافسة بلا نجاح . .

ولـذا فكـر فى أن يصـب غضبـه على أبنـاء مـدينـة « البرقـوق الطازج» . لكنه قال لنفسه :

ـ ليس هذا وقته . سوف يحدث لهم مالا تحمد عقباه .

كانت كـل نيته متجهة لعرقلـة « الفارس النادر » ورفاقـه حتى يتمكن رجـاله من اختراق الطـريق الـدائرى البالغ الطـول ، حيث سيدفنـون صندوق الطموح فى «مقبرة الـرغبات» التـى لايخرج منها أبدا أى شىء دفن فيها .

راح يرقـب الخريطة أمامـه . كان رجـاله هناك يمتطـون الجياد الخضراء فى طريقهـم الطويل إلى هـدف شرير ، وفى نفس الـوقت رأى العجوز يدخل دائرة الخداع البصرى . فتمتـم بنوع من الشماتة والفرح :

ـ هائل . . لقد اقتربوا من الخطر الحقيقى ! !

(٣٤)

لم يبد هناك أى خطـر حقيقى فى الأفق . الشىء الـوحيد الذى بدا كـأنه يعكـر صفو الرحلـة هو أن الطريـق كان طـويلا ، وعلى المجموعة أن تركب شيئاً فوق الجسر كى تصل به إلى نهايته . وذلك قبل أن يصل الصندوق إلى مثواه الأخيرة . .

فجأة صاح ماجد :

ـ انظروا ! !

وراح الآخرون ينظرون إلى حيث أشار ماجد ، هتفت عائشة :

ـ إنه شىء يحترق . .

علـق مصطفى : أو لعلـه شخـص . . تعالى لنقترب منـه . . يجب أن نساعده . .

رأى الـرفاق شخصـا يحاول أن إطفـاء النيران التى اشتعلـت فى جسـده . كـان بعيـدا . وكـأنـه يطلـب النجـدة . قـرر الـرفـاق مسـاعدتـه ، أحسـوا لأول مرة كـأن شيئـا يجمعهـم .. هنا تسـاءل العجوز :

ـ لماذا تساعدون شخصا اشتعلت فيه النيران؟ . دعوه . .

بدت الدهشة على الوجوه . وكأنهم أصيبوا بصدمة مفاجئة .

قالت عائشة :

ـ لأنه يجب أن يعيش ! !

سأل العجوز : ولماذا لايموت . . ؟

رد سمير : الأمل دائما موجود . .

ومن جديد سأل العجوز : ولماذا هو موجود . . الأمل ؟

علت الحيرة الوجوه . . رد ماجد :

ـ الأمل يعنى الغد . . أو المستقبل . .

أكملت عائشة : يعنى الطموح . .

استدار العجوز إلى عائشة ، وقال :

ـ يعنى الطموح . . الطموح إذن مـرتبط بالأمل . ولا أمل بغير طمـوح . . هه . . إذن هـذا الـرجل الـذى يحترق لـديه الأمـل أن يعيش .

وسكت . . ثم قال بصوت عميق ، بدا كأنه يخرج مشاعره من أعماقها :

ـ إذن ، يجب أن نساعده . .

(٣٥)

هتف « حكيم » مـدينة الحكايات وهو يشاهـد العجوز يتحرك ناحية الرجل المحترق :

ـ لا . . لاتفعل هذا . .

لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئا ، فحسب قانون مدينة الحكايات ، فليس من الممكن أبدا مساعدة أحد أبناء المدينة فى مغامراتهم ، عليهم أن يتركوهم لمصائرهم ، حتى ولو كان الخطر قائما ، حتى ولو دفعوا حيواتهم ثمنا لهذا كله .

إن حكيم المدينة يعرف جيداً أى خطر يقبل عليه أحد أبطال الحكايات ومعه رفاقه من الشباب ، ومع هذا لم يكن بيده أن يفعل شيئا ، شاهد على الشاشة الجميع يهرولون ناحية الكائن المحترق ، وعندما اقتربوا منه انتابتهم الدهشة . ووقفوا فجأة .

أشار العجوز إلى الزملاء بالتوقف وقال :

ـ إنه ليس إنسانا . . بل هو كائن هلامى ! !

بدا المنظر غريبا ، رآه كل منهم بطريقة مختلفة ، لذا قال كل واحد كلاما مختلفا عما راه ، وبدت آراؤهم متباينة . فقد رأت عائشة أمامها حصانا يحترق ، أما ماجد فقد رآه شجرة تشتعل ، ورآه مصطفى هيكلا عظميا يرقص وسط النار . وتمتم سمير :

ـ يا إلهى . إنه سمك قرش . يحترق . .

بدا المشهد مثيراً ، والأقاويل متناقضة . خاصة أن العجوز ، قد رأى أمامه أشياء تروح وتجئ دون أن يحدد كنهها بالضبط . علل

ذلك بأن الشيخوخة التى أصابته جعلت نظره ضعيفا ، وحاول أن يستعين بالفارس الذى يسكن فى داخله ، لكنه لم يستطع ، فالفارس لاينسلخ منه إلا عند الضرورة القصوى .

وسرعان ماساد اللغط وأعينهم ترى هذا الكائن بأشكال متعددة. حاول كل منهم أن يفرض رأيه طالما أنه واثق مما يشاهده . .

فجأة دفع ماجد زميله « سمير » ، وقال :

ـ أنت تكذب . . فما أراه هو شجرة تشتعل ، ويجب أن نطفئها . . لأننى أحب الأشجار خضراء . .

هتف« سمير» وهو يحاول أن يكظم غيظه .

ـ لا . . إنه سمكة قرش تحترق .

هنا تدخل مصطفى :

وكادوا أن يتضاربوا . لولا أن ظهر شىء بالغ الغرابة . .

(٣٦)

فجأة ظهرت أربع كائنات معا . راحت تحترق أمامهم . سمكة قرش وهيكل عظمى وشجرة خضراء وحصان ضخم . لم تكن هذه الكائنات تشتعل بالفعل ،بل كانت كائنات تحوطها النيران دون أن تمسها بأى أذى .

ولأول مرة شـاهد الجميـع نفس الكـائنات التـى بدأت تقترب منهم . صاح مصطفى :

ـ انظر . . إنه . .

وقبل أن ينتهى من كلامه رد ماجـد غاضبا : ألم أقل إنه شجرة تشتعل؟

ووجدوا أنفسهـم منغمسين فى لغط جـديد ، فقـد تصور كـل منهم أنه على حق . وهو يرى الأشيـاء تشتعل أمامهم . هنا صاح العجوز ، الذى بدا كأنه تبين حقيقة الأمر :

ـ انتبهوا . . فنحن فى حالة خداع بصرى . .

ثـم أطلق صرخة : هذه الكـائنات المشتعلة ستهاجمنا ، وتحاول أن تشعل فينا النيران مثلها .

وبالفعل ، راحت الكائنات المشتعلة تتحرك ، وكأنها ترقص ، وتتهادى ناحية الـرفاق ، تود أن تلمسهم . وسرعان ماتنبـه الرفاق إلى حقيقة الموقـف ، وفى بداية الأمر ، وقفـوا جامدين فى أمـاكنهم لايعرفون ماذا يفعلون ، ثم فكر ماجد قائلا :

ـ علينا الهروب . .

هنـا تدخـل العجوز : الهروب ممنـوع فـوق الجسر . بل علينـا المواجهة .

وهى ترتجف ، رددت عائشة :

ـ سوف نشتعل .

صاح سمير : إنها تقترب . . يجب أن نهرب . .

رد العجوز بكل ثقة : إلا الهروب . . إلا الهروب . .

صرخت عائشة : ليس أمامنا سوى أن نهرب . .

وهنا كانت الكائنات قد أصبحت أكثر اقترابا .

(٣٧)

لم يكن أمامه سوى أن ينسلخ ، مع اقتراب الخطر منه ، وأن يجابه تلك المخلوقات الغريبة الشكل ، وسرعان ماظهر « الفارس النادر» ، مرتديا ملابس الفروسية البيضاء، ورفع سيفه الخارق ، الذى يلمع نصله بقوة ، وراح يوجهه نحو النيران المشتعلة فى تلك المخلوقات .

وكانت مفاجأة ! !

لقد تصور الفارس أن النيران المشتعلة حول تلك الأجسام ، سوف ينعكس لهيبها الحاد فوق النصل ثم يرتد مرة أخرى إلى تلك الكائنات . ولكن النيران لم تنعكس قط على نصل السيف، بينما اقتربت الكائنات المشتعلة أكثر فأكثر . صاح :

ـ يا إلهى . إنها ليست كائنات حقيقية . .

لم يكن هناك وقت للتساؤل . حاول الرفاق أن يهربوا من ذلك الخطر الذى اقترب منهم فراحوا يتشبثون فى المكان ، إلا أن الفارس صاح بصوته الجهورى :

ـ لاتتشتتوا ، وإلا حانت نهايتكم ! !

لم يكن هناك وقت للسؤال . ورغم أن الرفاق حاولوا أن يعملوا بنصيحة « الفارس النادر » ، فإن الموقف ازداد تدهورا حيث تحول المكان فجأة إلى كتلة من النيران الشديدة الإشتعال ، وظهرت كرات ضخمة من النيران راحت تنزلق على أرض الجسر كأنما دفعتها مناجيق ضخمة . بينما تحركت كتلة النيران كأنها موجة عالية لن تقف فى مواجهتها أى سفينة مهما بلغت ضخامتها ، ولا أى مدينة ستقابلها عند الشاطئ .

كان هذا مشهداً مهيباً للغاية ، كفيلا أن يجعل أقوى القلوب تكف عن النبض من شدة الخوف . وأمام مثل هذا المشهد المرعب ، والمثير ، كان لابد للرفاق أن يلوذوا بالفرار محاولين البحث عن طريق النجاة ، حتى ولو عادوا إلى منطقة المارد المتيقظ وأن يتركوه ينال منهم . فلاشك أن المارد أكثر رحمة من هذه النيران المندفعة .

لم يكن أمامهم سوى أن يفعلوا هذا ، فالنيران تصطك ، كأن الكون كله قد احترق . ولكن صوت « الفارس النادر » جاء محذرا :

ـ لاتتشتتوا . . اثبتوا فى أماكنكم .

(٣٨)

لم تكن هناك أى فرصة للتفكير فى أن يتصوروه مجنونا ، أو أن هول المشهد قد أصابه بنوع من الهوس . مما جعله ينطق بما لايعرف . قال :

ـ اقفزوا داخل النيران . .

تمتم ماجد فى داخله : إنه يود أن يتخلص منا . .

سأل سمير : هل سنموت معا ؟ .

قال الفارس وهو يشير إلى موجة النيران العاتية التى انطلقت نحوهم :

ـ اقفزوا داخل النيران . .

كانت الكتل النارية قد انطلقت فى كل مكان ، لكن من المدهش حقا أنها لم تقترب قط منهم وكأن من ألقاها لم ينجح فى إصابة الهدف بالمرة . أما الكائنات المشتعلة فقد وقفت أمام الموجة النارية القادمة ، كأنها تستعد لشن هجوم شامل لايعرف أحد عواقبه سوى الله .

وبكل مايملك من شجاعة وقوة ، رفع الفارس يديه إلى أعلى . ثم نصب جسمه . وكأنه يستعد للقفز داخل موجة عارمة قوية يمكنها أن تكتسح أمامها كل الأشياء ، وبمهارة وسرعة قفز داخل موجة النيران وهو يردد :

ـ اللهم إنى استعين بك فى حاجتى إليك . .

وقبل أن يغوص فى النيران ، سمعه الرفاق يردد :

ـ اقفزوا قبل أن يقتلكم الخوف .

وتحركت الأحداث بسرعة رهيبة ، أحست عائشة وهى أكثرهم خوفا وجبنا ، أنها لو لم تمت بالنيران وتجابهها مثلما فعل «الفارس النادر » فإنها سوف تموت من الخوف ، وإن النيران ستلحق بها وتلتهمها شاءت أم أبت . . لذا راحت تنصب جسدها بدورها ورفعت يديها لأعلى . واستعدت للقفز داخل الموجة النارية بكل مالديها من قوة وعزيمة . .

وبينما هى تغوص داخل موجة النيران العاتية ، أحس ماجد ، أنه من الأفضل أن يموت شجاعا مقداما بدلا من أن تحرقه النيران جبانا خائفا ، فلم يتأخر عن اللحاق بزميلته ورمى نفسه فى النيران . .

ولم يبق سوى سمير ومصطفى . .

(٣٩)

وجد الجميع أنفسهم فى مكان آخر من الجسر يسوده الهدوء والسكينة ، راحوا ينظرون إلى بعضهم البعض وهم لايصدقون أعينهم تلك العيون التى بدت كأن ضعف الإبصار قد أصابها قبل قليل . . أمسك سمير بكتف زميله مصطفى ، وردد :

ـ هل نحن فى الجنة؟

رد مصطفى : لا . . مازلنا فوق الجسر . .

ضحكت عائشة ، وقالت :

ـ يبدو أننى مازلت على قيد الحياة .

علق ماجد : لقد كان كابوسا . . بالتأكيد .

ودامت لحظة صمت . ثم عاود مصطفى التساؤل : هل كانت هناك نيران فعلا ؟

ردت عائشة : أنا شخصيا شاهدت نيرانا وحصانا يشتعل . .

رد مصطفى : وأنا شاهدت الأمواج المشتعلة . والكرات النارية . . و . .

ثم سكت . وأكمل بصوت خفيض : شىء غريب . .

بدوا كأنهم نسوا أن العجوز قد جلس فوق الأرض يحاول أن يلتقط أنفاسه ، وسمعوه يسعل بشدة ، وعندما التفتوا إليه رأوه

يضع ده على فمه ، كأنه يحاول أن يمنع السعال الشديد . سألت عائشة :

ـ هل شاهدت النيران فعلا ؟

هز رأسه دون أن يتكلم . وانشغل بحالة مفاجئة من السعال أصابته من جديد . تمتم سمير :

ـ ترى هل كانت هناك نيران . . وجياد مشتعلة . . وسمكة قرش تحترق . . ؟

هز العجوز رأسه كأنه يؤكد على كلامهم . سأل ماجد :

ـ لكن أين ذهبت ؟ يبدو أنها أوهام ! !

وكانت المفاجأة أن العجوز هز رأسه بالإيجاب أيضا ، بعد أن نجح فى إيقاف السعال . راح يمد يده إلى مصطفى وماجد كى يساعداه على النهوض . سألت عائشة :

ـ هل أنت متأكد أنها كانت أوهاما ؟

مط شفتيه بطريقة أثارت التساؤل . وكأنه يعرف الإجابة الحقيقية ، وكأنه أيضا لايعرف شيئا . .

قال العجوز :

ـ لقد كنا فى منطقة الخداع البصرى . .

وقبل أن تكتسى الوجوه بالدهشة ، راح يكمل :

ـ لقد عرفت الحقيقة حينما لم أشاهد انعكاسا للنيران على السيف الخارق . . ولذا كان علىّ أن أعود إلى شيخوختى . . فالفارس النادر لايظهر إلا عند لحظة الخطر ، ورميت بنفسى فى النار التى لم تكن سوى وهم وسراب . .

رد ماجد : سراب . . ياله من أمر غريب !!

علقت عائشة : لكن السراب يظهر فيما يتعلق بالماء . حين تنعكس صورة الماء بواسطة أشعة الشمس فى الصحراء فيخيل لنا أن هناك بحيرة . . بينما هى بعيدة . .

رد العجوز : هنا ، فى هذا الجسر ؛ يمكن أن نرى أول سراب من نوعه . « سراب النيران » . .

ثم سكت قليلا ، وراح ينظر إلى المكان أمامه ، بدا الجسر أكثر وضوحا أمام عينيه ، ومن جديد لم ير نهاية الجسر، لكن بدت أطرافه البعيدة قال :

ـ يبدو أننا اجتزنا نصف الجسر . .

علق مصطفى : المهم التوقيت . . هل يمكننا أن نصل فى الموعد؟

راحوا يحيطون بالعجوز ، وهو يرقب المنظر من حوله ، كان ينظر إلى السماء تارة ثم إلى الأفق تارة أخرى . وكأنه يحاول البحث عن إجابات لأسئلة عديدة تدور فى رأسه ، ثم قال :

ـ هنـا . فوق الجسر يتوقف الـزمان تماما . وهذا هـو الفرق بين من يمشى هنا وبين الفرسان الذين ركبوا الطريق الدائرى . .

كـان بذلـك كـأنه يعلـن أن الأمر لم يحسـم بعـد ، وأن الزمـن الساكـن هنا فوق الجسر لايمكن أن ينبـئ بأى شىء يتعلق بنهـاية تلك المغامرة المثيرة . ولذا فعليه أن يفعل شيئا يجعله يتخطى حدود الزمن . لذا قال :

ـ هذا الجسر أشبه بمدينة « التفـاحة البنفسجية » . التى ضاع منها الطموح . إنها مدينة بلازمن .

سأل ماجد :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

(٤٠)

عرف الـرفاق أن «جسر الأهوال» المسكـون من هذه الكـائنات الغريبة ، أشبه بمـدينة بلا طموح لازمن فيها ولا عقـارب ساعة ، ولا أمل فى الغد ، فالمارد النائم لايهمه بالمرة أن يتحرك الزمن ، المهم أن ينـام ، أما منطقـة الخداع البصرى فلا أى زمـن فيها . وأكمـل كلامه قائلا :

ــ هل سـأل أحد منكـم نفسه ، هـل يمكن أن نـواجه نفـس المخاطر فى طريق العودة ؟

ردت عائشة : لقد سألت نفسى هذا السؤال . .

تمتم : حسن ، إنها أسئلة مفيدة . . لكننا سنعرف إجابتها حين نبدأ رحلة العودة . . .

قال ماجد فى يأس :

ـ هذا إذا قدر لنا أن نعود ؟

سأل مصطفى : لماذا تقول ذلك . . هل فقدت الأمل . . ؟

ابتسم سمير وقال : آه . . إياك أن تكون قد شربت نفس السائل الذى شربه أبناء مدينتنا .

علق ماجد : اليأس حالة قد تصيب المرء فجأة عندما يرى الطريق مسدودا . . انظروا . .

وأشار إلى بوابة حديدية سدت الطريق الذى أمامهم فجأة . . والتى اقتربوا منها . بدت البوابة كأنها ظهرت دون سابق إنذار . هتف مصطفى :

ـ انظروا . . إنها كتابة غريبة ! !

رأوا على الباب لوحة صغيرة مرسوما عليها طائر ذهبى اللون ، يبدو غريب الشكل ، كأنه النسر . رد العجوز :

ـ إنه « النسر القعيد » . .

بدا الاسم غريبا على مسامع الرفاق . أشار العجوز إلى السور الحديدى ، وقال :

ـ فى أغلب ظنى أن النسور القعيدة تسكن هذا المكان؟

سألت عائشة : ماهى النسور القعيدة بالضبط . . ؟

رد : دعونا نرى . . إنها غريبة الشكل وكثيرة العدد . .

سأل ماجد :

ـ هل من الضرورى أن ندخل ؟

رد العجوز : ليس أمامنا سوى الدخول . . إنه مصيرنا . .

تساءل سمير :

ـ يبدو أنها طيور شرسة . . بل بالغة الشراسة . .

(٤١)

وكان عليهم أن يجتازوا السور الحديدى الذى لم يكن موصدا بالمرة ، دفع مصطفى الباب يعاونه ماجد بينما تقدم سمير وعائشة كأنهما يستطلعان المكان ، أما العجوز فقد آثر هذه المرة أن يكون فى المؤخرة حتى يتصرف عند أى خطر مفاجئ .

وسرعان ما انبعثت رائحة كريهة من المكان ، وكأن الحياة لم تعرف طريقها إلى هذا المكان منذ أمد طويل ، راحوا يسدون أنوفهم حتى لاتسد الروائح أنوفهم فتكاد تصيبهم بالغثيان ، صاح ماجد :

ـ إنه غاز الميثان . .

وسرعان ما أكد زملاؤه نفس الرأى . إنه غاز ينبعث فى البحيرات الساكنة الخالية من الحياة دائما . أحسوا أن المنطقة تكاد تكون خاوية من وجود أى كائن حى . وإلا ما انطلق هذا الغاز بكل حدة ، رغم أن الجسر مكان مفتوح . قالت عائشة :

ـ لعل النسور ماتت منذ زمن طويل .

وقبل أن تنتهى من جملتها سمعت صوتاً غريباً ، سبق لها أن سمعته فى حديقة الحيوان مدينتها فابتلعت كلماتها ، وقالت :

ـ شىء غريب . . يبدو أن هناك نسرا حقيقيا . .

أخذت حدة الصوت تشتد وتعلو كلما اقتربوا من الجانب الآخر للحاجز الحديدى . كان المكان أشبه بغابة صناعية . تحوطها أشجار الجازورينا العالية والكثيفة . وعند أطرافها مدت عائشة رأسها كأنها تستطلع تلك النسور التى أخذت تطلق أصواتها العالية كأنها تستعد لاستقبالهم . هتفت :

ـ إنها نسور حقيقية . . انظروا . .

لم تكن فى حاجة أن تردد هذه الكلمة الأخيرة . فقد دس كل منهم رأسه فى فتحات أشجار الجازورينا ، وشاهدوا رتلا من النسور المتلاصقة جنبا إلى جنب كأنها تصنع حاجزا ضخما من أبناء

جنسها . بدا بعضها غارقا فى نوم ، والبعض الآخر يطلق صيحات غريبة كأنه يستقبل هؤلاء الوافدين الجدد بما يليق بهم .

قال ماجد وهو يرمش بعينيه عدة مرات :

ـ يبدو أنها من فصيلة المارد النائم . .

رد العجوز : لا . بل هى لم تنم أبداً . . ولاتعرف سوى اليقظة .

(٤٢)

بدا المنظر مثيرا للدهشة والاستغراب . فهذه النسور تبدو كأنها راقدة فوق تلال من البيض . وأنها لم تتحرك من مكانها منذ أمد طويل ، ولذا تنبعث منها تلك الروائح الكريهة . تمتم ماجد :

ـ ياإلهى . ترى كيف سنعبر هذا المكان ؟

كان من الصعب فعلا على أى إنسان أن يجد مكانا واحدا لقدميه . وبدا كأن هذه الطيور الجارحة قد اختارت الإقامة المريحة فى هذا الركن من الجسر ، فاستكانت ووجدت لنفسها أحسن إقامة ، التفتت عائشة ذات اليمين وذات اليسار ، وقالت :

ـ من المستحيل أن نعبر الجسر من هذا المكان .

رد العجوز : لايوجد مستحيل . . بل هناك أمل .

وأحست كـأن ذكاءهـا قد خـانها ، فهى لاتحب أبـدا أن تشعر باليأس ، لكـن أى شخص فى الدنيا لابـد أن يحس أنه لامخرج قط إلى الجانب الآخر من الجسر وسط هذه التلال المتراكمة من النسور الضخمة . . هنا قال سمير :

ـ ليس أمامنا سوى أن نجعلها تطير . .

زمّ العجوز شفتيه وهز رأسه ، وقال :

ـ إنها فى حاجة إلى مدفع ضخم يزعجها فيدفعها إلى الطيران .

لكن ، فجأة هتف مصطفى :

ـ يبدو أنها لن تطير أبدا . انظروا . .

فى تلك اللحظـة فرد أحـد النسور جسمـه عاليـا وكأنـه يحاول الخروج من حالة الكسل الأبدى التى أصابت بنى عشيرته ، ثم راح يفـرد جناحيـة فى الهواء . جناحيـه لا . . لم يكن لـه سوى جنـاح واحد ضخم وقوى . أخذ يرفـرف به كأنه يصنع الهواء لنفسه صرخ الرفاق معا :

ـ إن له جناحا واحدا . .

وهبط المنظـر كأن صاعقـة حطت عليهم . فهـذا هو أول نسر

فى التاريخ يكون له جناح واحد . صحيح أنه نسر ضخم ، وجناحه بالغ القوة ، لكنه مسكين . لايمكن أن يطير حتى ولو أطلقوا عليه عشرات الطلقات من المدافع .

(٤٣)

لم يكن هذا النسر الضخم هو الوحيد صاحب الجناح الواحد . بل بدت جميع النسور مثله ، راح بعض النسور يتحرك فى تثاقل ، وأغمض البعض الآخر عيونه وكأنه غارق فى نوم عميق . كان منظرها أشبه بشخص ضاعت منه كفاءته وافتقد طموحه فلم يهمه أن يتحرك قيد أنملة من مكانه . إنها النسور التى حاولت يوما أن تسد عين الشمس ، فاحترقت اجنحتها وسقطت فوق أرض الجسر عقابا لها على مافعلته . وأصبح عليها أن تعيش للأبد فاقدة جناحها الثانى ، وكأن لعنة أصابتها ، فلا هى بالنسور التى يمكنها أن تحلق فى السماء . ولا هى بالطيور التى يمكنها أن تعيش بقية حياتها فوق الأرض . أو بالأحرى فوق هذا المكان من « جسر الأهوال » .

تمتم العجوز : إنها مشكلة يجب أن نحاول حلها .

تساءل ماجد : هل يمكن أن نقتلها ؟

وسرعان ماتدخل العجوز : لا . . كله إلا القتل . . أنا لا أحب الدماء . .

سأل سمير : للضرورة أحكام !!

رد العجوز : ليست لدينا ضرورة . . بل يجب أن نفكر فيما يمكن أن نفعله .

ثم سكت وبدا كأنه يستجمع أفكاره قبل أن يتكلم . ثم قال :

ـ هذه الطيور يجب أن تطير . . يجب أن نفكر لها فى طريقة تدفعها للطيران . .

تدخل ماجد :

ـ ليست معنا مدافع . .

هز العجوز رأسه غاضبا ، وقال : قلت لا داعى لمثل هذه الأساليب .

ثم تنهد من جديد ، وقال :

ـ ترى ماذا يمكن لهذه النسور أن تفعل لو أحست أن الجسر ينهار .

ردت عائشة : لعلها ستنهار معه . .

قال العجوز : أو لعلها تفعل شيئا آخر . أن تطير مثلا . .

تدخل مصطفى : طبعا مستحيل . . لكن لو انهار الجسر ، فسوف تنهار معه . . وسنهلك جميعا . أليس كذلك ؟

(٤٤)

بدا العجوز كأنه ينطق كـلاماً غير مفهوم . فهل يمكن للجسر فعلا أن ينهـار . وهل يمكـن التخلص مـن هذه النسـور وجعلها تطير فى السماء مرة أخرى ؟ كانت الإجابة صعبة . . إلا أن العجوز قال :

ـ هذا الجسر غريـب ، فهو فى بدايته قائم على أعمدة حـديدية قويـة . تجعله يعيـش ملايين السنين ، لكنـه فى نهايته يستنـد على أعمدة خشبية كأنه معلق فى الهواء ومربوط بأحبال متينة . .

بـدا الرفـاق وكـأن سهماً أصـابهم بدهشـة لم يستطيعـوا الخروج منها ، فـرغم المعلومات التـى يتحدث عنها العجوز كـأنها حقيقية فإنـه لم يضع حلاً للمشكلـة التى وجـدوا أنفسهم أمامهـا . وهى كيف يمكـن فتح طـريق يعبرون منـه إلى الجانب الآخـر من الجسر وسط أكـوام من النسور ذوات الروائح الغـريبة . . تدخـل العجوز قائلا :

ـ ليست المشكلة أن نعبر وسـط أكوام النسور . ولكن يجب أن نبذر العزيمة فى قلوب هذه الطيور المسكينة . .

ثم سكت ، وبدا كأنه يتأمل المشهد حوله قبل أن يكمل :

ـ علها أن تطير .

كان يحس أن عليه أن يزرع الخوف فجأة فى قلوب هذه النسور وهى التى نسيت هذا الخوف منذ أمد طويل . لذا قال :

ــ الآن . . يجب أن أترككم . سأعود مرة أخرى إلى المنطقة الفاصلة .

اهتزت القلوب . فهل سيتركهم العجوز وحدهم ، ويعود إلى المكان الذى يفصل بين منطقة « الخداع البصرى » والسور الحديدى الذى يعيش النسور خلفه ؟ قالت عائشة :

ـ هل ستذهب . . ؟

رد العجوز : يجب أن أقطع حبل الجسر السرى . إنه الحبل الذى إذا انقطع سقط الجسر كله . .

صرخت عائشة : ونحن ، سنسقط ونموت ؟

بكل هدوء وحكمة قال العجوز :

ـ من الشرف أن يموت المرء من أجل أن يعيش الآخرون . .

لم يبد فى كلماته أبدا أنه يمزح ، أو أنه يبالغ ، بل بدا عازماً أن يعود إلى المنطقة المعزولة . . مهما حاولوا إثناءه عن عزمه . .

(٤٥)

وكان عليه أن يتركهم فى مكانهم يواجهون مصيرهم . فهو

يعرف جيدًا أن تلك هى أكثر المناطق أمناً فوق جسر الأهوال فالنسور لن تفكر قط فى أن تهاجمهم، وليس بمقدورها أن تفعل ذلك. ولكن الخطر الحقيقى سوف يكمن حين يبدأ الجسر فى الانهيار .

كان عليه أن يفعل ذلك ، وكما بدا أمام الرفاق، فإن على المرء أن يضحى بنفسه من أجل أن يعيش الآخرون ، فليست هناك وسيلة أخرى لعبور منطقة النسور ذوات الجناح الواحد إلا بانهيار الجسر كله .

وعاد العجوز إلى المنطقة المعزولة . .

وقف أمام جانب الجسر ، ينظر إلى الأفق حوله ، بدا الجسر كأنه مقام فوق هوة سحيقة تفصل بين جبلين عاليين ، وتبدو المسافة كأنها مئات الألوف من الأميال .

فرد صدره فجأة كأنه سيواجه قوى عاتية جبارة . ثم صاح بصوت نابع من أعماقه :

ـ ياواهب القوة . . ياصاحب العدل . . ساعدنى أن أكسب رضاك . .

وبينما هو يتكلم انسلخ من داخل العجوز رجل قوى البدن عملاق فى طوله ، ورشيق فى حركاته ، سرعان ماقفز فوق الجسر

العالى . وراح يتطلع إلى الفـراغ من أسفله . انحنى والتقـط حجراً ضخماً ثم رماه بعيداً . . سمع الحجر يـدور كأنه داخل دوامة ، أو كأنه يصرخ فى الفراغ السحيق الذى يذهب إليه بلا عودة .

كان عليه أن يعرف إلى أين هـو ذاهب . فأمسك بحبل صغير بين يديه . راح يـربطه حول وسطه ثـم أخذ ينظر إلى يديـه ويدقق فيهما .

فجأة تغيرت يداه وأصبحتا غريبتى الشكل ، كأنهما مصنوعتان من حديد ثم استعد لأن يرمى بنفسه فى الفضاء . وسرعان مافعل .

لم يصرخ ، ولم يطلـق آهــة واحـدة مثلما فعـل الحجـر الـذى ألقاه . . بل وجد نفسه معلقا فى أسفل الجسر . وقد اشتبك الحبل الذى ربطـه حول وسطـه بسور الجسر ، ثم أخـذ يفك الحبـل من وسطه ، ويستعد لمغامرة جديدة . .

بدا وكأن زلزالا مدمراً أصاب المكان . .

أطلق الرفاق الصرخات وحاولوا أن يتكاتفوا . أمسك كل منهم بيد الآخر بينما صاحوا فى صوت واحد :

ـ الجسر ينهار . .

وتذكروا كلمات العجوز ، أن يتحدوا ، ففى الاتحاد قوة خاصة فى إبـان الأزمات ، لكـن أى اتحاد هنا ، فـالجسر ينهـار بالفعـل ،

وهاهو سوف يسقط خلال ثوان إلى أسفل الهوة التى لاقرار لها بالمرة .

فجأة صاح سمير :

ـ انظروا . . الطيور تتحرك ! !

ووسط هذا الخضم الهائل من الارتباك والرجفة التى أصابتهم جميعا ، راح الجسر يهتز وهو يكاد أن يلفظهم فى الفراغ ، رأوا المشهد العجيب ، فقد حاولت النسور أن تهرب لكن إلى أين فالطريق ملئ بالأخطار، وكافة الحلول مليئة بالمرارة خاصة أن قوة الطرد المركزية التى يهتز بها الجسر قد رمت ببعض النسور فى الفراغ السحيق فذهبت إلى حيث لاعودة . .

حاول بعض الطيور أن تحلق ،لكنها مسكينة لم يكن لها سوى جناح واحد ولايمكنها أن تطير به . فقدت الطيور توازنها وسقطت مجموعة جديدة فى الفراغ .

هنا صرخت عائشة :

ـ امسكوا بعضكم البعض . .

بدت كأنها تتحدث إلى النسور . التى سرعان ما أدركت الخطر الماثل حولها غريزيا ، وكان عليها إما أن تهلك فى الهوة السحيقة أو أن تفكر وتتصرف ، لذا سرعان ماتكاتفت النسور وراح كل نسرين

يتحدان معا وكأنهما يمتزجان فى جسد واحد له جناحان وراحا يرفرفان سويا .

صرخ سمير : انظروا . . النسور تتصرف ! !

وبينما الجسر يهتز لآخر مرة تقريبا ، قال مصطفى :

ـ لكننا لسنا نسورا . . ولا أجنحة لنا . .

وبدأ الجسر فى الانهيار . وراح يتساقط مع كل الذين لم يتمكنوا من التفكير والتصرف .

كان هذا مشهداً مهيباً حقا ! !

فهاهى النسور التى استشعرت الخطر تحلق فى الجو بعد أن تكاتفت واستعان كل منها بجناح زميله كى يطير فى الأفق .

ومن أعلى السماء رأت النسور بعيونها القوية جسر الأهوال ينهار تماما ويسقط فى الأغوار السحيقة والتى لايعود منها من سقط إليها .

وامتلأت السماء بالنسور الطائرة ، بدت القوة كأنها قد دبت فيها فجأة ، بعد أن استشعرت قيمة الحياة وحاولت أن تتغلب على الخوف ، ولذا تعاونت ، بل وراح بعضها يلتقط هؤلاء الشباب الذين أسرعوا بالقفز بين مخالبها ، انطلقوا يطيرون فى اللحظات الأخيرة .

صفحة فارغة

إنهم هناك الآن فى السماء معلقين بين مخالب النسور ، كان عليهم أن يتصرفوا فى اللحظات الأخيرة، والا هلكوا جميعا . .

وتجمعت النسور فى الجو تتحرك ناحية الشرق كأن الرياح تدفع بها إلى مكان ما بعينه، صاحت عائشة وهى تتأمل هذا المشهد الذى ليس له مثيل :

ـ يا إلهى . كأنه كابوس جميل ! !

بدت كأنها تتكلم إلى نفسها . فلم يسمعها أحد من حولها . حيث أن المسافة بينها وبين أقرب زملائها إليها كانت بعيدة للغاية . إنها واثقة تماما أن الجميع كتبت له النجاة . ولكن لاتعرف أى مصير ينتظرهم . ولا ماذا يمكن أن يحدث لو فكرت النسور من جديد أن تسد عين الشمس، مثلما فعلت يوما ما فتذوب أجنحتها من جديد وتهلك ويسقط معهم الرفاق الأربعة، ويهلكون جميعا إلى الأبد . .

لم يسأل أحد من الزملاء عن مصير زميله، فلاشك أن مهابة الموقف جعلت كلا منهم مشغولا بما عاشه من تجربة مثيرة، وبما ينتظره من مصير غامض وهم معلقون هكذا بين النسور ويمكنهم أن يسقطوا فى أى لحظة . .

وتحرك سرب النسور إلى مجهول حاملا معه الرفاق الأربعة . .

(٤٦)

لكن ، ترى أين « الفارس النادر » الآن . . وماذا حدث له؟

كان على « الفارس النادر» أن يقوم بالمهمة على أفضل مايكون . وأن يجعل الجسر ينهار حتى تتعلم النسور الوحيدة الأجنحة كيف تتصرف عند اللزوم ، وأن تهرب وقت الخطر وتعاود الطيران . .

لقد نجح فى أن يصل إلى الجانب الآخر من الجسر حتى الجزء المعلق منه ، وذلك بواسطة يده المخلبية ذات القوى المغناطيسية فاستطاع بذلك أن ينتقل بكل سهولة أسفل الجسر . كان فقط عليه أن يسرع كى يصل فى وقت مناسب ، فقد أحس بالقلق ، يعرف أن رجال الجياد الزرقاء قد يصلون بين لحظة وأخرى إلى «مقبرة الرغبات» . فهو يعرف أن الزمن شبه معدوم فوق الجسر الذى يبدو كل شىء فيه ساكنا من كائنات وهمية لمارد نائم، ونسور وحيدة الأجنحة ، ولذا قرر أن يدمر الجسر مهما كان الثمن .

يبدو أنه لم يفكر طويلا فى العواقب . بل كان كل همه أن يصل إلى الحبل السرى الذى يربط نهاية الجسر، وأن يخرج سيفه الخارق كى يقطعه فينهار الجسر ، وهنا ستنتهى حالة الخمول الدائمة التى شهدها المكان منذ زمن طويل حين اقترب من نهاية الجسر فى منطقته المعلقة ، ردد وهو يرفع سيفه القوى :

ـ على المرء أن يكون طموحا . . أو يموت . .

كان يعنى بذلك أن على الجميـع أن يتصرفوا وقت الشدة ، وإن هذا سيكشف رغبتهم فى البقاء أحيـاء . فإن الذى سوف يستسلم لانهيار الجسر سـوف يدفع حيـاته ، أما الـذى سيقاوم وسيتصرف فـإنه سـوف يستحق نسمات الحيـاة التى يتنفسهـا الأحياء فى كـل لحظة . .

وبكل قوته ، رفع سيفه والذى تحول نصله الحاد إلى شفرة رقيقة للغـاية بـالغة الحدة والقـوة ، وانهال نحـو الحبل الـذى سرعان مـا انقطع كأن موسى حادا قد مر على خيط رفيع مشدود فيبتره .

وفجأة هـوى الجسد فى الجو ، وبـأسرع مما يتصـور وجد نفسـه يطير فى الهواء مـع الطـرف الـذى يسقـط نحـو الأغـوار السحيقـة البعيدة .

هاهـو الآن يطير مع النسور الملتصقة التـى توحدت أجسـامها فأصبح لكل نسر ذى جناح واحد جناحان يرفرفان نحو السماء ثم ينخفضان مرة أخرى . بدا المشهد مهيباً ، فها هى النسور تطير مرة أخـرى وتعرف معنـى الإرادة والـرغبة فى أن تكـون طيـورا عملاقـة بالفعل .

وهبت عاصفة قوية ، كادت أن تطيـح بالرفاق الذين تعلقوا فى

مخالب النسور . كانت العاصفة نتاج تلك الرفرفات القوية التى تحدثها النسور فى الجو ، فرحة بما عادت إليه تطلق أصوات الفرح وكأنها تغنى أنشودتها الخاصة بالنجاح . . وسمع الرفاق أغنية متناسقة كأنها إحدى السمفونيات الموسيقية الكبرى فراحوا يغنون كل أسفل النسر الذى يتعلق به . . أحست النسور أن هناك شيئا ما مع هؤلاء البشر الذين يتعلقون بمخالبهم خاصة وهم يرددون اللحن معهم ، فراحت النسور ترتفع ثم تهبط وتعود لترتفع مرة أخرى .

ياإلهى ! ياله من مشهد رائع !! إنها أغنية تتردد أعلى السحاب وكأنها عرض فنى رائع لفرقة غنائية مدربة ، أو كأنهم مجموعة نسور . . بل هم فعلا الآن مجموعة نسور . . أحسوا أنهم لو عادوا إلى الأرض فسوف يفقدون أجنحتهم مرة أخرى ، وأنهم لو ارتفعوا أكثر فسوف تذوب الأجنحة من قوة أشعة الشمس . . لذا راحوا ينزلون مرة أخرى قريبا من الغابة التى بدت تظهر فى الأفق بعد أن عبروا منطقة الهوة السحيقة التى اختفى فيها كل من حاول أجتيازها .

فجأة صاح «الفارس النادر» وهو يشير لسمير الذى كان قريبا إلى حد ما منه . .

ـ انظر إنهم رجال «الجيادالزرقاء» . .

كان على سمير أن ينظر إلى أسفل ، ناحية الغابة ، وأن يشاهد مجموعة الفرسان ينطلقون فوق جيـادهـم الزرقاء ويضعون فوق أحد الخيول صندوقا ، لم تبد ملامحه جيدا من أعلى .

صاح سمير : علينا أن ننزل حالا . .

ثم تساءل : لكن . كيف ؟

(٤٧)

يا إلهى . . شىء ما يحدث هنا ، ومع هذه النسور ! !

راحت النسـور تتحرك فى فـوج واحد ناحيـة الغابـة ، وأخذت تقترت من مجموعة الفرسان الذين يركبون الجيادالزرقاء . بدت كأنها تعرف طريقهـا جيدا ، وأن شيئا ما يحركهـا تقتفى مجموعة الـرجال الذين سرعان ماتنبهوا إلى وجود النسور .

فجأة ، وفـوق سطح الأرض ، أشار قـائد الفرسان الـزرقاء إلى رجاله أن ينطلقوا أكثر بجيادهم وصاح :

ـ أيها الـرجال . . المقبرة على مسـافة أمتـار قليلة . . وهـى فى انتظار الصندوق . .

وأسرع الرجال خلف قائدهـم ، يدفعون جيادهم كى تنطلق إلى

تلك البئر العميقة التى تقع بين شجرتين غـريبتى الشكـل ، من أجل أن يلقوا بالصندوق فى أعماق البئر كى يختفى هناك إلى الأبد ، وتفقد مدينة « التفاحة البنفسجية » الأمل فى أن يعود إليها الطموح للأبد .

لم يكن « الفارس النادر » فى حاجـة أن يجعل النسور تسرع نحو هؤلاء الرجال الذين يجاهدون أن تندفـع جيادهم الزرقاء للانطلاق نحو البئر . حيث «مقبرة الرغبات» .

اندفعت النسـور بكل قوة نحو هـدفها ، كأنها تعرف طـريقها جيدا ، وكـأنها سوف تلتهـم هؤلاء الرجـال وجيادهـم ، واقتربت أكثر من الأرض ، وفجأة قفز الفـارس من مكانه نحو الأرض وراح يسد الطريق على الرجال الذين يندفعون .

أصاب المكان حالة من الهرج والمرج الشديدين ، عندما بدأت النسور تلتقط الرجال بمخالبها . وراحت نسور أخرى تبارز بعض هؤلاء الرجـال بمناقيرها الحادة الطويلة . بينما وجد الـرفاق الأربعة أنفسهـم فى مواجهـة الحصـان الـذى يحمل الصنـدوق . . صـاح مصطفى :

ـ أسرعوا . . حاولوا أن توقفوه ! !

بدا الحصان جامحا يريد أن ينطلق بعيدا وكأن أحداً لايمكن أن يـوقفه . ووجـد الرفـاق الأربعة أنفسهـم فى موقـف شديـد الحرج

فلاشك أن الحصان لو ركل أحدهم بقدمه لدفعه إلى أعلى ولقضى عليه فى الحال . .

(٤٨)

وجد « الفارس النادر » نفسه أمام القائد يشهر السلاح بنفسه . وقف يتأمله وقد أصابته الدهشة . وهتف :

ـ أنت ! !

رد القائد :

ـ أجل أنا . . لقد جئت من أجلك خصيصا . . الآن حانت نهايتك . .

لم يكن القائد سوى « الشبح الأزرق » ، لقد قرر أن يجئ بنفسه كى يجابه أى أخطار محتملة ، وخاصة عندما شاهد على شاشته الخاصة الجسر ينهار إلى الأبد ، إنه يبدو مهيبا قويا متلفعا خلف هالات ، ولايظهر منه شيء سوى تلك العباءة الزرقاء . . وسيفه الطويل ، صاح :

ـ أعرف أنك تميل إلى استخدام السيف . . وسوف أقاتلك . .

وبكل سرعة وقوة هوى بسيفه على « الفارس النادر » ، وكاد أن يشطره نصفين لولا أن قفز هذا الأخير بعيدا ، فانشطرت الأرض وبكل مهارة نجح « الشبح الأزرق » فى إخراج السيف من الأرض

صفحة فارغة

ثم اندفع يهاجم خصمه .

ابتسم « الفارس النادر » ، وقال :

ـ واحد منا يجب أن يبقى . .

رد « الشبح الأزرق » وهو يضرب بسيفه مرة أخرى فى الهواء وكأنه سيفصل رقبة خصمه عن جسمه :

ـ طبعا . . أنا . . زعيم «المدينة الزرقاء » . .

أطلق السيف صوتا كأنه الصراخ ، واندفع ليشطر الشجرة القريبة . فقد كان سيفا غريبا يمكنه أن يطول ويقصر فى لمح البصر . سرعان ماسقطت الشجرة، وكان على « الفارس النادر » أن يقفز مرة أخرى ليس فقط ليتلافى ضربة السيف ، بل أيضا ليبتعد عن الشجرة التى سقطت فيما بينهما . .

قفز «الشبح الأزرق» من فوق جذع الشجرة . ثم وجه سيفه نحو خصمه ، وبسرعة انطلق من نصله سهم قوى ، اندفع نحو صدر «الفارس النادر » الذى سرعان ماوجه سيفه إلى السهم المنطلق فنجح فى أن يصده، ويجعله يسقط فوق الأرض .

(٤٩)

أحس « الفارس النادر » أن عليه أن يتحول من حالة الدفاع عن النفس أمام هذا الشبح الأزرق الواثق كثيرا فى نفسه إلى الهجوم

وسرعان ماتمدد نصل سيفه الأمامى ، فأصبح عريضا كأنه سطح أملس لامع . ثم ، وبكل قوة ، اندفع نحو خصمه وهو يعرف كيف ستكون الضربة . ثم هوى على سيفه .

وفى لحظات طار السيف فى الجو ، وارتفع دون أن يقع ، لم يُسمع له صوت وهو يسقط ، ولايعرف أحد هل ارتفع فعلا إلى مالانهاية من قوة الضربة ، أم إنه سقط فى مقبرة الرغبات ؟

وقف « الشبح الأزرق » يلهث وهو يستعد لمواجهة مصيره . بينما أمسك « الفارس النادر » بسيفه ، وراح يفكر فيما عليه أن يفعله صحيح أنه خصم لدود ؛ بل هومصدر الشر فى العالم والعدو الأكبر لمدينة الحكايات ومواطنيها ، لكنه لم يسبق أن قتل شخصا من قبل . فهو لايحب الدم ولا يسعى لقتل شخص مهما كان .

فجأة تذكر أن خصمه ليس آدميا ، وليس كائنا حياً ، بل هو مجرد شبح يتلفع بهذه العباءة الزرقاء ، وأحس أنه من الواجب أن يتخلص منه . ولم يعد لديه وقت ليفكر فاندفع بسيفه كى يغرسه فيه . .

لكن فجأة ، اندفع الجواد الأخضر بكل قوة يحاول أن يفصل بين الرجلين ، وأسرع « الفارس النادر » يتفاداه ثم وبكل مهارة وقوة أسرع يضرب الحبل المتين الذى يربط الصندوق فأسقطه فوق

الأرض .

أسرع « الفارس النادر » نحو الصندوق كى يلتقطه ، بينما انتهز « الشبح الأزرق » تلك الفرصة كى يقفز فوق الجواد الأخضر ويلوذ فرارا من المكان ، وقد أدرك أن ساحة المواجهة لم تعد ملكا له بالمرة . .

هتف ، وهو يبتعد : سوف نلتقى فى مغامرة جديدة . . أيها « الفارس النادر » . .

ثم جاء صوته من بعيد قبل أن يختفى :

ـ سأدبر لك مكائد أشد . .

واختفى خلف الأفق . .

(٥٠)

فى تلك اللحظات وصل الرفاق الأربعة وهم يحملون سيوفهم ويلهثون ، رأوا العجوز يمسك بالصندوق بين يديه ، وكأنه غير قادر أن يحمله ، قالت عائشة :

ـ لقد حاولنا . .

رد ماجد : علىّ أن أسعى . وليس علىّ إدراك النجاح . .

ابتسم العجوز ، وقال وهو ينظر إلى ساعته الكبيرة التى يعلقها فى صدره :

- أعتقد أن الأوان قد حان لنعود . . فقد اقترب موعد المباراة .

تساءل مصطفى :

- لكن كيف سنعود ؟ لقد انهار الجسر . .

ابتسم العجوز ومط شفتيه ثم نظر إلى السماء حيث لاتزال النسور تحلق وتمتم :

- لنا أصدقاء يطيرون بسرعة . . ويريدون أن يطيروا بلا توقف من أجل أن نصل فى موعدنا .

وارتفعت العيون إلى السماء ، حيث راحت بعض النسور تستعد للهبوط كى تقوم بمهمة أخرى أحست أن من الواجب عليها أن تؤديها ، وبكل سرعة . فلم يبق سوى بضع ساعات على موعد المباراة الحاسمة . . وعلى فريق مدينة « التفاحة البنفسجية » أن يتلقى التدريب المناسب .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩١
I.S.B.N. 977 - 09 - 0342 - 6

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥